طريق الخلاص :

التحرر من الانانية

ومن الخطيئة ومن الضعف ومن الخوف

☆

واول ما يفرضه علينا الايمان بالانسان :

— ان الانانية عزلة مغلقة على نفسها فيها فقر وفيها بوار وفيها احتضار مترادف يقع على الشخصية وعلى المجتمع. فقد اظهر لنا اختبار العمل البشري المتواصل طوال آلاف السنين والشامل لجميع حقول النشاط الفردي والاجتماعي ومن ضمنه التصوف ، ان الانسانية التامة والحياة الكاملة لا تتحقق فينا الا بعتق الذات وبالتضحية وبسيطرة المحبة الشاملة التي لا تنعكس على نفسها — وهي حقيقة موضوعية إنسانية لا مجال للشك بها ولو كانت من الغرابة بمكان، كأن الفرد لا يلقى ذاته الحقيقية الخفية الا اذا تخلص من مجموعة الاعتمالات والعادات الفيزيولوجية والنفسية والاجتماعية التي تكون ذاته الظاهرة والسطحية . .

— ان الاعتقاد السائد والشعور بالخطيئة وبالضعف رذيلة كبرى ادت الى نشرها بعض العقائد العامة المنحطة فحدت من مجال الانطلاق وسدت وجهة التحرر . . . بل اننا في الواقع جزء من الحقيقة ومن الخير الكامن والمتحول في صميم الكون ، علينا ان نصير هذه الحقيقة وهذه القوة وهذا الخير . . وما الخطيئة على حد تعبير لكونت دي نوي الا بان تعارض ارادة الذات فينا ارادة الحياة ووجهة التطور المادي — الحيواني — البشري .

— ان الشعور بالخوف نقيصة ذميمة لان مصير الحياة التفاؤل وهدفها النجاح والخير والانتصار .

فلنتحرر اذن من الشعور بالانانية ومن الشعور بالخطيئة ومن الشعور بالضعف وبالخوف .

اما دلالة التحرر الفارقة وبادرة التقدم والانتصار فينا فهي الشعور بالفرح الذي لا ينضب له معين :

« ان هذا الشعور بالفرح وبتقبل الحياة بثقة وباطمئنان ناجم عن تقبل التطور ذاته وعن انسجامنا افراداً وجماعة في تيار الحياة الزاخر والخلاق ، وهو يتحقق فعلاً بالحس الضمني الداخلي الواعي والمتزايد بأننا في مقدمة الحياة : و الفرح — كما يقول برغسون — يبشر دائماً بنجاح الحياة وبأنها تقدمت وبأنها انتصرت* » .

كمال جنبلاط

---

* من ميثاق الحزب التقدمي الاشتراكي ص : ٦٣

فن التراجم

بقلم مصطفى عبد اللطيف السحرتي

تراجم

الاشخاص فن من ابدع فنون الادب ، ودراسة لا تهب المتعة الفنية فحسب ، ولكنها تؤثر في العقل الباطن ، وتعمل على تجميد صورة ملهمة او مثال مهذب للدارسين.

ولم تخل حياة كبير من الاقتداء بمثال او اكثر بحياة كبار الرجال . ولو ذهبنا الى تحليل حياة رجل من اللامعين لدهشنا من التشابه بينه وبين الآخرين في كثير من الافكار او الاقوال او الاعمال .

فعظيم روحي كغاندي[1] . قد تأثر السيد المسيح في ديانته بفلسفة المحبة ، كما تأثر في مبادئه التصوفية ببعض زعمات الثيوصوفية مثل : اني بيزانت ، ومدام بلافاتسكي ، وتأثر في آرائه الاجتماعية بتولستوي .

ومن هذا يتضح بجلاء ان كثيراً من تأثراتنا النفسية وانطباعاتنا الوجدانية ، يرجع الى دراسة حيوات الرجال دراسة صحيحة . ولهذا كان اهتمام الاجيال الحديثة بفن ترجمة الاشخاص فائقاً ، ولقد تحولت كتابة التراجم تحولاً عجيباً ، فلم تعد ، كما كانت في الماضي نوعاً من الكتابة البلاغية ، او بحثاً من البحوث الفلسفية ، او سرداً تاريخياً لحياة المترجمين ، بل اصبحت فناً مستقلاً ، له طريقته في العرض وفي اختيار المادة وفي الترسيم الكتابي ، واقتربت من الحقيقة اقتراباً كبيراً ، فلم تعد كما كانت في الماضي تدور حول الاشادة بالمترجمين ، وتمجيد محاسنهم واخلاقهم ؛ وانما تولدت من الحقائق ، فأضحت اشبه ما تكون بصور — زولا — الصريحة التي لا تعرف الكتمان ، او تخفي جانباً من الجوانب المظلمة في حيوات الرجال او النساء .

امتازت التراجم الحديثة ، بالدقة في تحري الاحداث ، والتنقيب عن المعلومات جلت او هانت واعتمدت في بنائها على مختلف العلوم الحديثة ، ولم تهمل قوى البصيرة في سبيل الوصول الى بعث الشخصية المترجمة بعثاً قريباً من الحق والصدق والحياة ، دون نظر لاعتبارات الحب او الاحترام او التقديس ، التي كانت تمنع الكتاب من تسجيل سيئات المترجمين وهفواتهم ونزواتهم ، والنقاط الضعيفة في اخلاقهم .

وهذا الاتجاه الجديد في دراسة الاشخاص دراسة نزيهة ، بدأ في نهاية القرن التاسع عشر ، وشاع في القرن العشرين ؛ ومن اشهر كتاب التراجم المحدثين ستراتشي : ومورلي في انجلترة ، واميل لودويج ، واستيفان زفايج في المانيا ، واندريه موروا في فرنسا ، وبراد فورد في امريكا ، واغلب تراجمهم طبعت بطابع الدقة ، والحيوية ، والذكاء ، وألمت بكل ما ظهر او خفي من اعمال المترجمين ، وما اعتلج في جوانحهم ، بفضل الكشوف العلمية والسيكولوجية والطبية الحديثة في القرن التاسع عشر والعشرين .

والملحوظ في فن التراجم العصرية تأثرها تأثراً مباشراً او غير مباشر بالبحوث البيولوجية والسيكولوجية ، والطبية ، فقد كان للبحوث البيولوجية عن المورثة Genes اثر ظاهر في بيان التأثيرات الوراثية في ترجمة الشخوص[1] ، فالنبوغ الفني مثلاً في سن باكرة ، امكن تعليله بالرجوع الى الكشف البيولوجي ، فان مهارة الموسيقي النمسوي موزارت في العزف في سن الثالثة ، لم يك عملاً غريزياً ، كما يقول جوردون في كتابه « الشخصية » انما مرجعه الميول الوراثية التي ورثها من ابيه ليوبولد ، وقد كان مؤلفاً وعازفاً شهيراً على الكمان[2] .

وقد كان للبحوث السيكولوجية اكبر الاثر في تقدم فن التراجم وبخاصة عندما اخرج فرويد نظرياته وطبقها على ترجمته لطفولة المصور الايطالي « دى فينيسي » . وبفضل ابحاث هذا العالم العظيم ، ومن عاصروه من علماء رجال علم النفس ، تكشفت نواح في الاشخاص كان يكتنفها الغموض ، والقيت الاضواء على الجوانب الخفية المظلمة ، فالكشوف الحديثة عن الغريزة الجنسية مثلاً ، قد ابانت كثيراً من اسرار العباقرة ، وابدع ما قرأنا في هذه الناحية كتاب « سيكولوجية العباقرة » للكاتب الالماني كرتشمر (٣) فقد ذكر كثيراً من الانحرافات الجنسية لدى العباقرة ، وكيفية تحولها تحولاً ايجابياً ، فحب الجنس المماثل لدى « ميشيل انجلو » قد جعله ينشط بصفة خاصة الى تصوير جمال المذكر ، وسادية نيتشه ، قد ظهرت في كتاباته وحملاته على المرأة ، ونرجسية « جيت » او عشقه لذاته قد قاده الى النظر الى نفسه نظرة مثالية بطولية ، وعدم الاهتمام الجنسي لدى

(1) Ghandi - By. Fulop Miller

(1) The Biological Basis of Human Nature - By. G. W. All port P. 154

(2) Personlity - By Gordon.

(3) The Psychology of Men of Genius By Kretschmer.

الفيلسوفين «كانت» و «ديكارت» جعلهما يهتمان بالفلسفة العميقة ، والبرود الجنسي لدى « شيلر » جعله يتجه اتجاهات عاطفية وفلسفية دون اهتمام يذكر بالمسائل الجنسية في رواياته ، وهذه الناحية الواحدة في البحوث السيكولوجية ، قد غمرت بشعاعاتها مضيئة فن التراجم ، فما بالنا بالنواحي الاخرى المتعددة ، والتي يستحيل علينا ذكرها في هذا المقال .

ولا تقل الابحاث الطبية اثراً عن الابحاث السيكولوجية في العمل على انهاض فن التراجم ، فقد فاضت التراجم الحديثة حديثاً بحالات المترجمين الصحية وامراضهم العضوية وغير العضوية ، وقد كان لعلم الغدد الصم ، اثره البارز في هذا التقدم وقد طبقت آثارها في حياة كثير من العظماء ، وممن تناول هذه الناحية برمان في كتابه « الغدد المنظمة للشخصية[1] » وكوب ، في كتابه «غدد الحظ[2]» فحدثنا « برمان» ان نابليون عندما ضعفت غدته النخامية ، بدا عليه التعب ودهمه الكسل ، ووهن ذهنه ، وكثر شحمه ، وترهلت بطنه ، ونحل جسمه وصار انثوياً ، وتجلى هـذا الوهن في مقال كتبه عن الانتحار ! وحدثنا عن داروين ، فارجع كثرة آلامه وضعفه واعيائه الى قلة افراز غدته الادرنالية .

وحدثنا كوب في كتابه سالف الذكر عن اثر الغدد في بعض الشخصيات الجهيرة ، ومن طريف ما ذكر انه لاحظ ان شعرات من حاجب موسوليني الايسر بدأت تسقط ، – وكان هذا قبل الحرب الاخيرة – وارتأى في هذه الظاهرة ، علامة من علامات ضعف الغدة النخامية ، لدى موسوليني ، وهذه النظرة العلمية ، قد ثبتت صحتها من موقف موسوليني في الحرب الاخيرة ، وارتمائه في احضان حليفه ثم ذهاب سلطانه والقضاء عليه .

ولا يقتصر كتاب التراجم في مادتهم على التاريخ والفلسفة ، والكشوف العلمية ، بل هناك من الكتاب من يعلق اهمية كبيرة على التفاعلات بين المترجم ومجتمعه ، ويرون ان المجتمع ابعد اثراً في تكوين شخصية المترجم ، وان هذه الناحية اجدر بالدراسة من اي ناحية اخرى ، ولهذا يرون ان جل التراجم التي قامت على دراسة الشخوص دراسة فردية ، تراجم بتراء ، وتبعاً لهذا الرأي ، تكون تراجم – كارليل – مثلاً ، التي كانت تدور حول فاعلية الشخوص في الاحداث ، وفي الرجال ، وفي مجريات الحياة ، تراجم غير صادقة ولا صائبة .

والحق ان الاعتماد في التراجم على ناحية دون اخرى ضرب من

(1) Glands Regulatings Personality By Berman.
(2) Glands of Destiny By Cobb.

التعصب ، ومجانبة للصواب ، فالاعتماد على السيكولوجية وحدها ، أو على الغدد الصماء وحدها ، او على تفاعل المجتمع وحده ، لن يثمر صورة متكاملة للمترجمين ، ولا مفر من النظر في ترجمة الشخوص الى كل ناحية من النواحي سالفة الذكر ، بل لا مفر من الاهتمام بالتوافه فقد تلقي هذه التوافه ضوءاً كاشفاً على حياة المترجمين ، فقد وجد كثير من الكتاب في صور المترجمين وحياً لفنهم ، وقد جهر اميل لودويج بهذه الحقيقة في كتابه «العبقرية والشخصية[1]» فقال «ان ترجمة الاشخاص بدون صورة عمل مستحيل » وقد كان في جل تراجمه لا يقتصر على وصف وجوه المترجمين ، بل كان يحكم من ابرز ملامحهم على خلقهم ، فانه يقول ليصف مثلاً الاديب الالماني «شيلر» فيقول :

« ان له عينين رطبتين مشبتين في وجه بيضاوي وله جبهة شاحبة وشفتان شاحبتان حساستان مثل شفتي القس ، وأنفه القصير الاقنى جسور ومعتد » ويصف الاديب الفرنسي « بلزاك » فيقول : « ان له عنقاً كعنق العجل ، وانفاً ضخماً ، وشفتين غليظتين ، وذقناً مزدوجة ، وشعراً كثاً اسود ، وفي عينيه حياة وسناء وجاذبية وبياضهما ناصع شفاف تتخلله الزرقة مثل عيني الطفل او العذراء » .

وثمة نواح اخرى لا غنى لكاتب التراجم عن تأملها ، منها اثر المناخ على الشخوص ، وفعل الاجناس فيها ، وقد تناول هذه الناحية كثير من الباحثين ونذكر منهم « كرتشمر » في بحثه « الجنس والعبقرية » Race and Genius وقد دحض في هذا البحث الفكرة القائلة بسمو الاجناس الاخرى ، واوضح بجلاء ان مولد اغلب العبقريات العظيمة في المناطق الاوربية المتوسطة ، فالعبقريات الفنية الخلاقة من امثال باخ ، وهاندل وموزارت وواجنر ، وشومان ، وشوبيرت ، عاشت في مناطق الالب اي في جنوبي ووسط المانيا ، ووسط ايطاليا ، وفرنسا ، على حين ان المناطق الشمالية مثل انجلترة وشمالي المانيا ، لم تنجب مثل هذه العبقريات ، وفضلا عن ذلك ، فان المناطق المتوسطة هي مناطق الخصب والابداع ، وانها اخرجت رجالا عملوا على انهاض الثقافة الاوروبية منذ العصور الوسطى الى اليوم . اي ان الثقافة العليا ترعرعت في المناطق الاوروبية المتوسطة لا الشمالية القاصية كالسويد او اسكتلنده او المانيا الساحلية [1] بفضل عباقرة هذه المناطق .

ولا سبيل للاستطراد في ذكر المصادر المختلفة التي ينبغي على كاتب التراجم ان يلوذ اليها ، كي يمكنه الحصول على المواد اللازمة لبحثه ، وتعمق موضوعه .

(1) P 85. Kretschmer.

وهذه المواد الجديدة التي يتكون منها نسيج التراجم، لا تكفي لابراز ترجمات فنية، بل انها تتطلب كاتباً ماهراً، قديراً على جبل هذه المواد، واخراج صورة حية منها، تنقل القارىء نقلا رفيقاً الى رؤية ما وعت عن احداث، وما ضمت من شخوص، وتحمله يشاطر الكاتب في التأثر بهذه الاحداث، وتعرف هذه الشخوص باطنياً وخارجياً. وبمعنى آخر، ان فن التراجم، هو فن التعبير والابداع، وهو يتطلب البداية الجاذبة، والنهاية المؤثرة، والاسلوب السيال، والوحدة العضوية في جميع اجزاء الترجمات، وايجاد الجو الفكري والنفسي، لدى القاريء، بحيث تكون الصور الماثلة في الذهن صوراً ناطقة، لا تنسى، وفي هذا يتميز كاتب عن كاتب، ويرقى فن على فن.

وواضح مما تقدم ان الترجمات ليست عملا سهلا، لانها في موضوعها تتطلب زكانة واسعة منوعة، وفي صياغتها تتطلب مهارة، وحساسية وحيوية وتحتاج في اخراجها الى وقت طويل، ولهذا قل ان نقع على ترجمة فائقة، واغلب الترجمات في حاجة الى ان تكتب مرة ثانية، وبخاصة ترجماتنا الشرقية التي لم ينظر عند وضعها الى الكشوف العلمية الجديدة، ولم يكتب اغلبها كتابة فنية فائتة، فضلا عن فقدانها عنصر الجرأة، اي ان كتاب التراجم في الشرق، يراعون التقاليد ويقدرون النظرة الخلقية دائما على حساب الحق المجرد فيتركون في ترجماتهم، نقائص المترجمين، وهفواتهم، ونزواتهم، وبخاصة اذا كان المترجم من ابطال الوطنية او من رجال الدين او ممن دارت حول شخوصهم هالات القداسة.

ويستحيل علينا في هذا البحث الموجز تناول الثغرات في تراجمنا وهذا لا يمنعنا من التمثيل ببعض هذه التراجم، فقد قرأنا كتاب «ابن الرومي» للعقاد، وهو على ما فيه من جهد، وما تخلل بعض نواحيه عن فطنة، الا انه لم يعتمد النظرات الحديثة في الحكم، وبخاصة النظرة السيكولوجية، ولو استند كاتبه على هذه النظرة، لما اضطر الى تعذيب ذهنه في الحكم على شخصية ابن الرومي، ولما وقع في طائفة من الآراء الشاطحة، ومن هذه الآراء مثلا انه نفى عن ابن الرومي حقده وهذا لا يتوائم مع خصال العصبي وقد كان ابن الرومي من هؤلاء العصبيين، وقوله في ص ١٦٢، ١٦٣.

ان ابن الرومي كان متلافاً مسرفاً، وشحيحاً مقتراً في نوبات لا يدري لها سبباً، وهذا غير صحيح لان ابرز سمات العصبي، البخل والانانية، وقد تناولنا نقد هذه الترجمة باسهاب في مقال لنا بالامام في عام ١٩٣٤ واتخذنا كتاب — ادلر — عن «المزاج العصبي» اساساً لنقداتنا، ولا ريب في ان الرجوع الى امثال هؤلاء الاساتذة السيكولوجيين، عون ايما عون في اخصاب مادة الترجمة.

ولم يعتمد العقاد هذه النظرات الحديثة في كتابه «عبقرية عمر» وقد تكون المادة التي حصل عليها غير كافية في تطبيق هذه النظرات، ولكن القارىء المتعمق يجد في الكتاب ثغرات. ومن ذلك انه دافع عن آراء المترجم على طول الخط، حتى رأيه في عدم محاربة المرتدين! كما انه اتى بآراء عجيبة في تأييد عبقرية عمر، فذكر من سمات العبقرية الفراسة، والتفاؤل (ص ٣٠) ومن دلائلها قوة البصيرة او الرؤية «التلباتي» ونعتقد ان العبقرية لها سمات غير هذه السمات، فالعبقرية فوقان سام في ناحية من نواحي الفكر او العمل، وكنا نستحسن ان يوصف هؤلاء المترجمون بالعظمة بدل العبقرية، وهذا ما ذكره العقاد ذاته في الكتاب فذكر ان عمر رجل عظيم. والملحوظ كذلك على هذه الترجمة عدم انسجام ابوابها، فعمر في فصل عبقري، وفي فصل آخر ممتاز! ولا ندري كيف نصف عمر بالعبقرية آناً وبالامتياز آناً آخر وبينهما فوارق بارزة وهكذا لو اخذ الناقد في بيان العثرات لما شقت عليه السبيل.

ونحسب ان جل تراجمنا لم تكتب كتابة فنية، اي انها لا تصور المترجمين تصويراً حياً، ولم تبعثهم امامنا بعثاً جديداً على القرطاس، وقد تحدث الدكتور اسماعيل ادهم، في هذه الناحية عندما نقد كتاب «حياة محمد للدكتور هيكل، وهو نقد جدير بتمعن كتاب التراجم واهتمامهم، وقد نشر هذا البحث في احد اعداد مجلة الامام التي كان يصدرها الدكتور ابو شادي. ومع هذا فان تناول الدكتور طه حسين لبعض الشخوص، يعد تناولا فنياً، في طريقة العرض، وفي خلق الجو، وفي اسلوبه السيال، وايقاعه الجميل، وهذا ملحوظ في كتابيه: «على هامش السيرة» و«عثمان» وان كانت الجانه يعوزها وفره المادة، والنظرة الحديثة في الترجمة العصرية وعلى اي حال، فكثير من التراجم الشرقية، تعد خمائر طيبة، لانجاب ترجمات فائقة في قابل الايام.

هذه لمحات خاطفة في فن التراجم، قصدنا بها الى دراسة المترجين من الزوايا الجديدة التي المعنا اليها في هذا المقال، ومرجونا التوفر على هذا الفن العصري الجديد، لكي تبتدع تراجم فائقة في مادتها وفي صياغتها، وكي يمكننا أن نصل كما يقول احد الكتاب الامريكيين الى معجزة بعث الموتى!

القاهرة — عبد اللطيف السحرتي

في تكريم الشاعر بولس سلامة

صاحب ملحمة عيد الغدير

ذكرنا في برقيات العدد الماضي كلمة عن حفلة التكريم الكبرى التي اقيمت في الكلية العاملية ببيروت للشاعر الاستاذ بولس سلامة بمناسبة صدور ملحمته « عيد الغدير » توالى فيها على منبر الخطابة كبار الادباء والشعراء. كما ساهم فريق كبير من ادباء العرب بارسال كلماتهم. وستطبع لجنة التكريم الخطب التي القيت والقصائد والرسائل الواردة في كتاب خاص. وننشر فيما يلي: قصيدة الشاعر سعيد عقل، وكلمة العلامة الاستاذ عبدالله العلايلي وقصيدة الشاعر بولس سلامة وكلمة الاستاذ السيد صدر الدين شرف الدين صاحب جريدة الساعة العراقية:



يا مغمدا

☆

قل — والعظائم لا تمل … والقول منك شذا وفل
ورواية تروى فيسمع … للخيول الدهم صهل
باعنة مرخى لها … فالارض ملعبها الاقل
وقف تراه على السوى … ذيالك الفتح الاجل؟
لاوالظبى،لو يذكرون … لكل مشناف محل
في عهده اختصر البطولة … ذو الفقار فلا يذل
سيف تلفتت العصور … اليه فالنظرات سؤل
اهوى ولم تبرح يد … حملته تضرب لا تكل
وابو القضية،مات ام لا، … شأنه كالمزن بذل
آلا، بين الارض هن … وما وراء الارض وصل
دونتهن كأنما قد كنت … في الفرسان قبل
يا باعث الطعنات يفعمهن … منك ندى ونبل
يا موقظ الموتى غداة … جوارنا نهب وختل
يا مغمداً يحمي العلى … من ذا تكون إذا تسل؟

سعيد عقل

سر الاديب

☆

الخلود، والابداع العبقري، وكبرياء الوجود، والتفوق، معان يؤدي بعضها الى بعض، وينهض نحو منها على نحو.. ولكنها كافتها انما تنبع من اعماق شعور الحي بمعناه.

هذا الشعور الذي يسمح للشخصية بالامتداد، ويغريها بالتدفق، فلا تضمر ولا تبور، ولا تتهافت او تضمحل.. بل تفرض طبيعتها، لتبدع، لتخلق، دون ما حساب الا للقيم الخالدة في خضمها؛ خضم الذات.

شعور هو المادة الحقيقة لكل عمل كبير: في الادب، في الفن، وسائر مظاهر الكائن التي استوت وكانت سجل نبضات كبيرة، مشت في الزمن ولم تذو..

من هنا، من مفارق هذا الحاضر، تلفتْ الى البعيد البعيد. ثم ان انت سألت الطرف عن خبره، عن خبر ما وعي، فلن يجد عنده حقيقة هي ابقى من رسالة قلب اي اديب. وبادية خلود هي اخلد من رسالة فكر. انه بلفتة — وقد اشتمل الماضي كله، ومر على رفيف محبَّك من التاريخ — يخبر انه كان هنا مجد فيما زعموا، وكان

هناك حضارة فيما حكوا . . وقد يكون الذي زعموا حقاً، ولكنني لم ار شيئاً ، لم ار على وجه كل هذا الغمر الا ظلّا تركه اديب .

ألا ان في الحياة فوق موكبة الزمن، حيث تذوب تخومه، بعض حقائق أزلية . . . لعل اخصبها في حس الحياة هي هذه الحقيقة، حقيقة هذا الكائن .

فصلت زمناً ، وانا استشف المنافذ الى السر الذي حمل صاحبنا « المعري » على ان يختص بخلده هذا النفر .

وفي يوم هذا التكريم ، سقطت عفواً على ما عييت به زمناً : لقد وضح لي ان المعري كان اسمعنا لهمسة الخلد في مترددنداته .

الخلد في حسه موئل قيمة . فكان ضنيناً ان يشرع ابوابه الا لاولئك الذين يعطونها، لاولئك الذين يقدون من اضلاعهم اضلاعها .

انهم اعاشوا الخلد في معناهم ، ليعيشوا ابداً في معناه .

فيا اخي بولس : من «تحصيل الحاصل» ان اقول انك اديب . واعني ، من « تحصيل الحاصل » ان اقول انك خالد

اذكر اننا حفظنا يوم كنا نحفظ الابجدية ، ان الاديب هو هذا اللهب الالهي الاقدس، واظن بان آخرين ايضاً حفظوا فيه مثلنا . وانه لهب ليس يتنزّل الا في نفوس برّة ترهبت للخير، للحق، للجمال .

وانتزعت المحاريب والهياكل من معنى حجارتها ، لتسكبها محاريب وهياكل من معناها ، من معنى حقيقتها .

فلم تعد ، وكل امرها حجارة تتفتت وتتآكل ، في غفوات وصحوات من الانسان والزمان ، بل حجارة هي وحدات من خلود هذا الانسان المصفى ، لا انسان الاباطيل — اللوح القمي‌ء — الذي تعرفون ابناءه في هيادب القمم وعلى مسارب الدروب .

اي اخي :

اقول . . وليتني استطيع على القول ، الوفاء بكل هذا الحس الضارب في مذهب نفسي حيالك ، حيال ما تكتب وتخط وما تثبت وتمحو . . فاحسبك من فئة لا تكتب ، وانما هو ذوب روحها يرفض كالطل على الاطلال .

ولعل ربك — جلت حكمته — اراده لخير هذا المجتمع «الطلل» الذي تنعب في صحرائه شوهات : ليتها الاغربة ، ليتها البوم . . . اذن لرأينا على سيماء نعيبها ما يسمونه « جمال فن القبح »، ولكن الرزيئة في شوهاتنا انه اسقطها من حسابه حتى فن القبح ، فجاءت قبحاً لا فن فيه . . . اي ألماً متصلاً لا الى موت ، ويأساً متورماً لا تعلة في حواشيه، ورذيلة مفعمة بالسواد لا الى هداية، لا الى امل في انها تعقل .

ولعل ربك اراده لخيرنا ، اراد من حبات الطل المنسكب ، لتكون معنى الحياة في الاطلال . فكثيراً ما دارت حبة الطل على نفسها فانعقدت في سيل ، وكثيراً ما دار السيل عى نفسه فانعقد في التيار .

احسبك من فئة لا تطبع لتنشر بل تمدد روحها على الطابع ، لتجيء فضيلة حية ، تطعن رذيلة حية ، وصدقاً يتمادى ، يضرب وجه كذب يتمادى .

اي اخي : كلما تمثلت لي آلامك وكبرياؤك عليها ، تراءت لي تلك الشجرة التي اصطلح الناس، وبالاحرى علماء النبات منهم، على تسميتها « بالشجرة الباكية » . ومن خبرها :

ان كل ما فيها يندى، وليس كما يندى الشجر بل كما ينهمر السحاب .

فهي ابداً تهطل ، وعند جذعها ابداً مثل بحيرة، كأنما امتدت لتسبح فيها . وهي ترتسم عليها بعريها حيناً ، وبتبرج اوراقها حيناً، كما لو كانت لها مرآة .

انها تدمع — فيما يراه الناس دمعاً — لتبقى . . . وتدمع — فيما يسميه الناس دمعاً — لترقى .

اما هي في حس طبيعتها ، فتنمو وتشتد وتزدان ، من ذوب ذاتها لذاتها .

اي اخي : انت تقول : اننا نكرمك ، اننا نعطيك كرامة ولكن من الغرور ان نزعم هذا الزعم ، فالوطن ، الوطن بكل ما فيه ، انما يجد الكرامة في الناس بامثالك .

والا ، ما الوطن ؟ ما امتيازه ؟ ما كبرياؤه ؟ . ان لم يكن هو هذه الحبات في سنابله .

هذه الحبات التي هي لنا وللناس ، الخبز اليومي .

(فاما الزبد فيذهب جفاء ، واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض) .

اي اخي : في حكمة سليمان : الموت والحياة في يد اللسان . ومجدك ، في ان لسانك كان مورد حياة .

عبد الله العلايلي

لولا القريض

●

قلمي، اجلك ان تكون عليلا مثلي فتنهد للبيان كليلا

ابت المروءة ان تخيب شاعراً قد بات الا قلبه مشلولا

ايضمك الحفل الخضم سماحة وتكون في عيد السخاء بخيلا؟

وانا الذي خنق الزمان غراسه   الا الوفاء فما يزال ظليلا
منت عليك من العروبة صيدها   وشهدت دجلة رافداً والنيلا
جادت افانين الرياض فأطلقت   من كل اماود اليك رسولا
يتلمع الالهام حول جناحه   ملكاً يجر على السحاب ذيولا
ملأ الخلود الرحب شجو هديله   فتلقفت ورق الجنان هديلا
انا لست الا ريشة معتلة   نقرت على وتر الجمال قليلا
ما كنت في الاعلام بنداً خافقاً   عمري ، ولا في الاولين رعيلا
شرف العروبة انها في عهدها   تبدو بفضل الخيرين الاولى

***

يا قادة الفكر الاولى اكرمتم   قلبي وقد جاء الطروس هزيلا
نورتم ليل المريض فلم يعد   ليلًا كآهات الجريح طويلا
أواه من الم كبت لهيبه   والطب يزرع في الفقار نصولا
واشد آلام الابي مرارة   الا يمهد للدموع سبيلا
امسكت اجفاني ولو اطلقتها   لرأيت طرفي بالدماء كحيلا
صدري طويت على الضلوع زفيره   وبكل جارحة دفنت قتيلا
جسدت في (عيد الغدير) تجلدي   متأسياً بدم الحسين طليلا
بابن البتول يذوب في آهاته   والشوك طوّق رأسه اكليلا
يضفي على جرح الطهارة صفحه   ومن التسامح ينسج الانجيلا
بأمير اهل الضاد عفة مئزر   وبلاغة وبطولة وقبيلا
دوت عجائب ذي الفقار[1] بكفه   وجرت على سمع الزمان صليلا
نثر المفاخر في الحجاز حسامه   وجواده هز العراق صهيلا

***

لبنان حصن الضاد صائن عزها   كالليث يمنع في النوائب غيلا
من بيض علياء المآذن نورت   ومن الكنائس اطلقت ترتيلا
لبنان شرع الحب شرعك منذ ما   وعت الحضارة للخليل خليلا
بسط الجمال عليك فيض بهائه   فتألق الصخر الاصم جميلا
فلمحت رضواناً بكل خميلة   ووراء كل غمامة جبريلا
وشمخت مئناقاً ، وجدت سماحة   ونعمت اظلالا ، وانت مقيلا
من ام لبنانا يخال عقابه   مهدن من دعة القلوب سهولا
في كل دسكرة له بيت فما   يسمى بلبنان النزيل نزيلا
رحبت مدارجه فمن ينزل به   يجد الجمال الى الجمال دليلا

***

لبنان ابناء العروبة اخوة   نثرتهم كف الزمان فلولا

(١) ذو الفقار سيف الامام علي .

سفر من العظمات لم ترأف به   حيل الدهاة فقطعته فصولا
وهو الموحد عزة وأمانياً   ونوائباً وتوثباً وميولا
والارض واحدة سواء انبتت   ارزاً ام انفجر الصعيد نخيلا

***

يا مكرمي وقد سبقتم بالندى   وطفاء حولت الهجير بليلا
اكرمتم القلم الذي فتحت به   آي الكتاب[1] فسطر التنزيلا
حلف الرحيم[2] به ولولا العقل لم   يبدع من العدم الرهيب هيولى
ما الكون الا الفكر ذر من السنى   كالنور يخترق الظلام شعيلا
في كل ارض دية من جوده   تذر القفار جنائناً وحقولا
لولا القريض ونشوة بنعيمه   لرأيت تكليف الحياة ثقيلا
يغشى النفوس اوان يلفحها الاسى   فتفل من حلك الهموم سدولا
فيكون للقلب الحزين هناءة   ويكون للقلب الاثيم غسيلا
وتطيب خادعة السراب لظامىء   حرم الزلال فلم يبل غليلا
تثب المنى وثباتها فاذا كبت   فالحلم مفزعها ولو تضليلا

***

حسب اليراع الفذ ان صريره   يذر الحسام المشرفي ذليلا
ولطالما رفع العروش وهدّها   واعاد تياه القصور سفولا
ولقد يبيت العبقري على الطوى   ويموت موت الاقحوان ذبولا
فاذا قضى وقف الزمان تخشعاً   وعلى اسمه مهر الزمان الجيلا
عرش البيان تزول كل اريكة   ويظل مجدك للنجوم عديلا
طافت به الارواح ضافية السنى   ومشى عن جنح السهى محمولا
قامت على الحس المجنح دولة   لم تعتلق رجس الثرى لتدولا
كالشمس يغرق في الوحول شعاعها   ويظل تياه الذيول نبيلا

***

يا شعر حسبك في الخلود مكانة   ان الملوك تجاذبتك مقولا
كم سيد لولاك عاش مجهلًا   وقضى كجندي الوغى مجهولا
ما عز لولا التغلبي[3] امية   ولظل مروان[4] الضئيل ضئيلا

— البقية في صفحة ٦٧ —

(١) اشارة الى الآيات الخمس الاولى من سورة العلق وهي اول ما انزل من القرآن المجيد وفيها ذكر القلم .
(٢) اشارة الى الآية الكريمة : (ن) والقلم وما يسطرون .
(٣) الاخطل التغلبي شاعر بني امية .
(٤) هو مروان بن الحكم وقد كان ابوه طريد النبي ، وكان مروان السبب في نقمة الناس على عثمان وقتله .

بلا ثمن

بقلم امين يوسف غراب

●

كان الليل قد اقبل واكتنفت ظلمته الموحشة ارجاء البيت الصامت ، الا من صوت خفيض مهزول ، ينبعث متصلا حيناً وغير متصل حيناً آخر . كأنه الصدى ترجعه انفاس الظلام في الليل ، وكانت هي تقف في الغرفة المجاورة مولهة مفجوعة تصغي الى الصوت المتقطع الذي كان يبلغ اذنيها منصهراً فيلفحها كما تلفح السنة النار شيئاً رقيقاً ، فلا يسعها الا ان تزم شفتيها وتغمض عينيها حتى لا ترى قلبها الذي يمزقه هذا الانين المنبعث في عتمة الليل . . انه زوجها يكاد المرض يمزق احشاءه تمزيقاً . . انه الالم القاسي المرير يلهب جسده الفائر بسوطه الغليظ فلا يستطيع له دفعاً الا بهذه الانة المتقطعة التي تحرق اذنيها وتشوي قلبها الواجف الوجل وتحيله الى رماد بين جنبيها . . انها تستطيع ان تتصور كل شيء ، وتتخيل كل شيء ، الا ان تفجع فيه او تفقده . . انها تعيش من اجله، لذلك كانت الدنيا بما رحبت في كفة، وهو وحده في كفة لانها لم تعرف في الدنيا سواه . ولم تعرف الدنيا الا به هو ابوها وامها ، وهو اخوها واختها ، وهو صديقها وزوجها ولم تعرف من هؤلاء الا اياه مات ابوها قبل ان تولد ، وماتت امها اثر ولادتها . ولم تدر من الذي كفلها في طفولتها ، ان كل ما تذكر من ايامها انها ظلت في القرية تتنقل من بيت الى بيت . ومن عم الى خال ، ومن غريب الى قريب . حتى التقى هو بها ، وكان يماثلها خلقاً ووحدة وفقراً ، فما يعرف ولا يذكر اماً حتى ولا منبتاً تحقق مغانيه . فهو من الصعيد ، ويوماً نزح الى المركز الذي فيه قريتها بوظيفته الصغيرة التي جاست به خلال القطر كله ، وكانت وظيفته متواضعة لا تعلو الخمسة الجنيهات في الشهر . ومشى بينهما هوى حين مشت نظرة الى نظرة والغريب يحن الى الغريب . والفقير يعطف على الفقير ، والخلق الطيب سرعان ما يأتلف ويمتزج ويتحاب . لذلك احبته هي من قلبها . واحبها هو بكل جارحة فيه . وظلا كذلك ، ظمؤهما ري ، وكفافهما نعيم ، وفقرهما ثراء ورخاء ورفاهية . ان جاعت فنظرة منه تطعمها . وان ظمىء فرشفة من ثغرها ترويه . وان نزلت بهما نازلة تبددت ما دام يظلهما سقف واحد . . ولكن هذه النازلة ! اتستطيع لها دفعاً ، اتستطيع لها رداً . ؟ انها فعلت الممكن والمستحيل ، فعلت اقصى ما يمكن لامرأة ان تفعله . . انفقت كل ما كانت تدخر . وباعت كل ما كانت تملك ، حليها البخس والثمين ، قرطها الذهبي ، خلخالها الفضي ، ثيابها الجديدة اثاث البيت ، حتى السرير الذي كانت تنام عليه ، كل شيء . قد باعته . . وهي تريد ايضاً ان تبيع كل شيء . ولكن الشيء المشروع الذي يباع . . اما هذا الذي يطلبونه منها ، هذا الذي يساومونها عليه ، أيسهل عليها امره ؟ . اتستطيع ان تفرط فيه ؟ . واربدت سحنتها اربداداً مخيفاً وجحظت عيناها في الظلام وراح ينقذف منهما شيء كأنه اللهب . .



مهداة الى الصديق وديع فلسطين

انهم يريدون منها ان تنتزع روحها من جسدها . انهم يريدون منها ان تشفيه لتقتله بسلاح آخر اشد من القتل ، اشد هولاً من الموت . يريدون لها ان تحييه لتميته بسكين احد من الداء الذي يأكل جسده اكلا . .
ولكن هذا الرجل ، هذا الطبيب ، هذا الملاك الطاهر الذي يضمد جراح الانسانية ، ويهدهد انفاسها ، أهو من القسوة الى هذا الحد . . ؟ اهو من الغلظة بدرجة انه يستبيح لنفسه تقديم مرضاه قرباناً على مذبح شهواته ؟ لقد قيل لها انه الطبيب الوحيد في المركز وليس من طبيب سواه فيه وهو الوحيد الذي يُشفى زوجك على يديه . فذهبت اليه جارية تلهث ونقدته جنيهاً ، ولا يعلم غير الله من اين حصلت على هذا الجنيه . وطلبت منه ان يرافقها الى البيت ليرى زوجها الذي يموت . .
وقد كان معها لربما حتى في الحديث . وكان لطيفاً وهما في طريقهما الى البيت . ولما عاينه قال : انه الخراج في الكبد ويكاد ينفجر . وانه لا بد من اجراء العملية سريعاً ، وانه لا بد لها من ان تلحق به الى العيادة لتتفق معه على الأجر وقد لحقت به كما اراد . ولكنه طلب منها المستحيل ، طلب منها عشرة جنيهات اجراً لعلاجه ، اجراً لانقاذ زوجها من موت محقق . وكانت لا تملك درهماً . فهلع قلبها ومادت بها الارض وكادت تسقط اعياء عند قدميه بل لقد سقطت فعلاً عند حذائه تبلله بالدموع وتمسح عليه بخدها وشفتيها ، لعله يستجيب لرجائها فيعالج لها زوجها بالاجر الذي يشاء وينظرها الى ميسرة ، ولكنه رفض واصر ، ولما الحت اشفق على عينيها من الدموع التي توسلها ارسالا . ومد يده وانهضها في رفق وجفف لها بمنديله تلك الدموع الغزار التي تنساب كالسيل ، ثم ربت على كتفها في حنان جم وحدب كبير ، ويعود فيربت على خدها في لطف اكثر حناناً وشفقة .
وقد سرها هذا العطف الكبير وفرحت به وابتسمت له ، لانها لم تفهم . وما كان لها ان تفهم . وفرح هو ايضاً لانه ظنها قد فهمت ، لذلك ابتسم ولذلك عاد من جديد يكفكف لها عبراتها . ويهدهد لها بأنامله الولهانة خدها الشاحب المضطرب ، ولكنها فهمت هذه المرة فصفعته على وجهه ولم تكتف بذلك بل بصقت في وجهه ايضاً ولكنه لم يغضب لفعلتها كما كانت تظن ، ولم يثر . وانما شيعها راضياً مبتسماً وهي تنصرف وكأنه يقول لها بعينه . . ومع ذلك ستعودين ثانية . .
وعلى الدرج خانتها قواها فارتمت على السلم . انها لم تصدق ابداً هذا الذي حدث . . انها لا بد كانت تحلم . . انه طبيب . . . انه انسان . . انه بشر . اذن فهي كانت تحلم . ولا بد انها كانت تحلم . وكفكفت عبراتها المنسابة . وهدأت من ثائرتها وعادت فصعدت فيه ثانية ، ولم يعترضها الممرض وانما ابتسم وهو يفتح لها الباب على الطبيب الشاب . ودلفت من الباب كالشبح ، ووقفت امامه ذاهلة ترجو وتتوسل . ولكنه لم ينظر اليها هذه المرة ، ولم يسمع كلمة مما قالت . ولم تسمع هي ايضاً شيئاً مما قال سوى العشرة الجنيهات التي طلبها ، او العشرة الجنيهات التي يريد هو ان يدفعها ان هي قبلت ما يريد ، فاندفعت اليه مرة اخرى وهمت بان تصفعه مرة اخرى ، بيد ان انة جريحاً انبعث في عتمة الليل من الغرفة المجاورة فلفحت اذنيها وايقظتها من هذا الذهول الذي غرقت فيه وراحت في صمته ووحشته تستعرض احداث النهار .
ولما عرفت انها كانت تحلم وانها كانت تستعرض الحوادث في

هذا الصمت الموحش ، جففت دموعها المنسابة ، واسرعت هالعة القلب الى الغرفة المجاورة المسجى فيها زوجها على الارض يتصبب العرق البارد من جبهته المقرورة ومن كل جارحة فيه . ومد المريض المحتضر يده الواهية المرتعشة وامسك بيدها وتمتم خائراً منهوكاً بصوت لا يبين : عائشة .. اكاد اموت ..

ونظرت عائشة الى وجهه الشاحب المتقع ، وعينيه الفائرتين ، وعنقه الواهي الذي مال بالرأس المضطرب على الصدر كما يميل العلم المنكس في يوم حزين ، فأصابها مس من الجنون .. ان حياتها تتوارى امام عينيها .. ان دنياها تذوب وتتلاشى بين يديها .. انه يموت .. انه يلفظ آخر انفاسه . انه يجب ان يعيش . ويجب ان تموت هي . في موته موتها فلماذا لا تموت فقط .؟ ولكن هل لا بد لها ان تموت على هذه الصورة ..؟ على هذا الوضع الذى تنكره الارض وتصرخ من هوله السماء .. ولكن .. واربدت سحنتها اربداداً مخيفاً ، وجحظت عيناها في الظلام وراح ينقذف منهما شيء كأنه اللهب . وجففت دموعها المنسابة ، وسوت خصلات شعرها النائم مكتئباً على صدرها الحزين . وتمتمت ضاحكة ذاهلة ولكن ماذا يضير لو قدمت شرفها قرباناً على مذبح الانسانية ما دامت الانسانية نفسها هي التي تريد ذلك — ؟ وانفجرت باكية وراحت دموعها الغزيرة البكماء تنساب حارة على خدها الشاحب المضطرب المقرور ، وتتساقط رويداً في عتمة الليل . ومكثت كذلك لحظات وكادت تمضي لحظات اخرى ولكن الالم المرير مس ، خلال هذه اللحظات احشاء المريض الذى يتوجع ، مساً عنيفاً وآلمه هذه المرة ووخزه وخزاً . وهمّ المريض بان يصرخ ويستغيث ولما لم يقو ضغط بيده الواهية المتصببة عرقاً على يدها المرتعشة المبللة بالدموع وتمتم بشفتين باردتين : — عائشة ، اكاد اموت .

ولكنها لم ترد هذه المرة ، ولم تنظر اليه منخلعة اللب منفطرة الفؤاد كعادتها ، ذلك لانها كانت قد انصرفت ذاهلة مأخوذة كاللبوءة الضالة تسير في الطرقات على غير وعي . واخذت تسير وتسير وكلما تعبت او خارت قواها وكادت تسقط اعياء ، لفحت اذنيها تلك الانة الحبيسة المختلجة فتلهب جسدها الهاباً وتجعلها تواصل سيرها في الظلام على غير هدى .

وفجأة الفت نفسها دون شعور تصعد على ذلك الدرج الذي صعدت عليه بالامس مرات وتنقل قدميها عليه نقلاً هيناً متباطئاً ثقيلاً ، كمن ينقل جسده نقلاً الى اليم ليلقي به في اغواره وظلت كذلك حتى طالعها الباب على قيد خطوات منها ولكن .. ولكن ماذا ؟

انقلبت سحنتها انقلاباً مخيفاً وجحظت عيناها وراح ينقذف منهما في الليل شيء كأنه اللهب . ولكنه الشرف يا عائشة ، ولكنه الموت .. وانفجرت باكية وراحت دموعها الغزيرة البكماء تنساب في الظلام على خدها الشاحب المضطرب . ولكن ماذا يضيرها لو ماتت الآن ؟ ماذا يضيرها لو قدمت شرفها قرباناً على مذبح الانسانية ما دامت الانسانية نفسها هي التي تريد ذلك . اوخففت دموعها ومدت يداً واهية مرتعشة وراحت تنقر على الباب حيناً ، وتصغي حيناً آخر الى لفحات انفاسها المحترقة . ولم تمكث طويلاً حتى فتح الباب على مصراعيه ، ولم يعترضها الممرض الذى كان يبيت مع الطبيب في العيادة ، وانما شيعها مبتسماً وهي تدخل كالشبح على الطبيب الشاب في مخدعه الانيق .

وخرجت بعد حين اكثر شحوباً واصفراراً ، ولكنها فرحة مبتهجة تستعجل الطبيب مبتسمة وترجوه ان يرتدي ملابسه سريعاً وان يعد حقيبته ، كما تستعجل الممرض ايضاً وترجوه في ان يعد ادواته . انها فرحة . انها مبتهجة . انها ستشفيه . ستعيد اليه حياته . وترد اليه دنياه انها ستراه ثانية سليماً معافى . انها ستراه مرة اخرى يستقبل الحياة كما كان راضياً عنها . فرحاً بها . حريصاً عليها . انها ستجعله يضحك من جديد . ويضحك كما كان . ويرجع الكون صدى ضحكاته ، وتخيلت ذلك كله ورأته امام عينيها رأي العين ، فابتهجت وانفرجت اساريرها عن ابتسامة عذبة انطبعت على ثغرها المرتجف الاصفر ، وسرت في كيانها كله فأنشطته وأعادت اليه الكثير من الهدوء والارتياح والبهجة التي كان قد افتقدها منذ زمن بعيد .

ولما وقفت بهم العربة امام البيت كانت اسبقهم الى الهبوط منها خفيفة رشيقة كالطائر الطروب وتقدمت الطبيب والممرض واشرعت الباب عن زوجها المسجى على الارض ومدت يدها ورفعت الغطاء عن وجهه وكأنها من فرحة الامل غريبة عن زوجها وغريبة عن نفسها هذه المتاعة منذ ايام طوال .

شيء واحد هو الذي ردها الى نفسها سريعاً ، او رد نفسها اليها سريعاً . ذلك انها عندما رفعت الغطاء عن وجه زوجها وجدته قد فارق الحياة ولفظ آخر انفاسه فراحت تنظر اليه مبهورة الانفاس حيناً . وحيناً الى الطبيب الشاب وتضحك ملء شدقيها . وظلت كذلك لحظات ، لا تدري اطالت ام قصرت ولم يدر الطبيب ايضاً اطالت ام قصرت وانما الذي يذكره الممرض انها كانت اللحظات الرهيبة الهائلة التي مرت به في حياته لانه شاهد بعين رأسه كيف ان امرأة تطالب الانسانية بالثمن الذي دفعته .

القاهرة — امين يوسف غراب

رسالة الكاتب

بقلم السيدة سلوى محمصاني صومعة

☆

قرأت من ايام خلت ، قصة مؤلمة مخزية فيا تضمنت من حوادث تقع تبعتها على عاتق الكاتب .

انها قصة زوجة خاسرة افسدتها مصنفات احـد الكتاب ، فكانت هذه المصنفات اول المنحدر الذي انزلقت فيه قدم الزوجة ، ومن ثم كانت جريمة قتل ، فخراب اسرة وشقاء افرادها .

انه ليس من المهم ان نعلم اذا كانت هذه القصة حقيقة واقعية ام هي من نسج الخيال انما المهم ان نقدر المسؤولية التي يضطلع بها الكاتب فيا يكتب من احاديث ، وفيا يصور من اقاصيص .

اذ ليس من شك في ان القارىء يؤخذ بسحر ما يقرأ ويتأثر به مدة تطول وتقصر حسب شدة التأثير وضعفه . وحسب الاستعداد لهذا التأثير وضعفه ، وحسب الاستعداد لهذا التأثير وعدمه . فان لم تكن هذه المدة ليالي واياماً ، فهي لا شك لحظات يسبح بها القارىء في الاجواء التي يرفعه اليها الكاتب . وهي حيناً اجواء قدسية فيها من اللذة المعنوية ما يكفي غذاء للروح على مدى سحيق من الزمن ، وهي - ويا للاسف - حيناً ينحدر بها الكاتب الى مفاسد بئر موبوءة يتزلق اليهـا ضعاف النفوس من القارئين والقارئات .

يقول الاستاذ العقاد : « وان القارىء الذي لا يقرأ الا الكتب المنتقاة ، كالمريض الذي لا يأكل الا الاطعمة المنتقاة . يدل ذلك على ضعف المعدة اكثر مما يدل على جودة القابلية » .

ويقول الاستاذ الكبير ايضاً : « وانه مـا من طعام غث الا والمعدة القوية مستخرجة منه مادة غذاء ، ودم حياة وفناء . فان كنت ضعيف المعدة فتحامَ السمين كما تتحامى الغث « وان كنت من ذوي المعدات القوية ، فاعلم ان لك من كل طعام غذاء صالحاً »

لقد صدق الاستاذ العقاد في قوله . ولكن هنـاك مشكلة شائكة ، مشكلة اصحاب المعدات الضعيفة ، او بالاحرى اصحاب النفوس الضعيفة الذين لا يتماسكون امام الهاويات ، بل هم يتدهورون فيها الى الحضيض ليغترفوا من مياهها الآسنة القذرة ، فيكونون بذلك ضحية اولئك الكتاب الذين يؤلفون المؤلفات الرخيصة ، وينشرون بهـا امراضاً وضيعة تكون سبب المشاكل الاجتماعية المستعصية التي لا تحل . وهنا سؤال يتبادر الى الذهن :

هل يجب ان نهمل ضعاف النفوس يسقطون من ركب الوجود المعنوي في مهاوى الزلل تدوسهم سنابك الخيل ، خيل الحياة السائرة الى الخلود في السبل القويمة النيرة ؟ تلك الحياة التي لا تأبه لمن يتهدم ، ولمن يصطدم ، ولمن تهن منه القرى المحصنة ، فيقع ذليـلاً شقياً مهاناً . نعم انها لا تأبه الا للحقائق الصامدة العتية ، ولا تظلل الا من لا ينثني منه العزم ، ولا تتضعضع منه الحواس امام زئير الاهواء الهوجاء ، وزمجرة الميول الضالة عن الهداية والصواب .

فهل من شك في ان الامراض النفسية والروحية كالامراض الجسمية ، بعضها سريع العدوى ، سريع الانتشار ، سريع الفتك بالمعنويات الانسانية الرفيعة ؟ وهل من شك في ان بعض المبادىء الهدامة ، تسطو على افكار الجماهير وتشعل مشاعرها كما تشعل النار الهشيم في اوقات من الزمن فتكون سبباً في التخريب والتعذيب والحرمان .

انه لا يمكن للفكر العام ان يعيش بنجوة من هجمات الكاتب وتأثيراته وتفاعلاته .

ان الفكر ينبت الفكر ، ويستوحي من الفكر ، ويتطور ، ويتبدل ويحيي ، او يزول ويفنى بواسطة الفكر الجديد ذي القوة الفعالة ، وذي السحر العجيب .

وعليه ، هل يجوز للكاتب المريض ان يترك وشأنه ، يذيع مبادئه الهدامة ، او ينشر احساسه الوضيع وخيالاته المريضة عملاً بحرية الرأي ؟ ام يجب ان تسيطر عليه قوى عقلية مؤلفة من مجمع علمي راق ، فيوقفه قبل ان تسري عدواه ، ويتم مفعوله في الجماهير وفي هذه الحال يكون قد قيدنا الفكر بقوى محدودة تحول دون وثباته وجولاته .

لذلك يجب ان تقوم وتعيش على الدوام قوى فكرية مهذبة ، متفوقة او على الاقل متعادلة في الكفاءة مع تلك ، لتغربل وتمحص وتهذب وتصلح ، وهذا ما يحدث عادة في النهضات لتبقى كفة الخير راجحة في الوجود .

ان المثل العليا التي ينادي بها المصلحون منذ بدء الخليقة ثابتة باقية محصنة بسياج من ضياء النبل وعبير الرفعة والسمو. ولكننا نلحظ انها لا تزال كما هي منذ وجد الانسان. وكل المدنيات التي ازدهرت عبر التاريخ، لم ترفع منها اكثر مما ارتفع منذ فجر الحياة والقيم الروحية لم تتقدم بخطواتها الظافرة في النهضة الحديثة عما كانت عليه في المدنيات السابقة، بل اننا نرى ان عاصفة من الاجرام تجتاح كثيراً من النواحي الانسانية، وان التقدم الاخلاقي الذي نريده لا يزال في مهده، والانسان بتقدمه العلمي العظيم، لم يتقدم في ميدان الخلق عما كان عليه من قديم الازمنة، اللهم الا تقدماً مزيفاً فيه كثير من الخداع والتلون. بل ان كثيراً من الشرور والمظالم تقترف تحت ستار مموه براق لا يخفي ما ينطوي تحته من اجرام.

وهنا تبرز مسؤولية الكاتب العظيمة، مسؤولية الرسالة التي يجب ان يحملها ويبلغها للناس. انها رسالة الاصلاح، والتوجيه للخير والجمال: جمال الخلق، وجمال العاطفة، وجمال الروح.

يجب ان يكون الكاتب متزهاً بمستواه الرفيع ليستطيع ان يحمل مشعل الرجاء للنفوس، ومشعل الصلاح للقلوب، لانه هو رسول الحقيقة، والمعلم الذي يلقن الحق للناس. ولانه هو وسيلة التفاهم بين القوى العظيمة الخفية، وبين القوى الفكرية التي تغفل وتستيقظ، تغلظ وتشف، تقسو وتلين، قوة ثم تبعث حية في امكنة وازمنة مختلفات بين جحافل الانسان القادمة والهاربة على مر الحياة.

فعلى الكاتب ان يقدر عظيم هذه الرسالة فلا ينزل من الاسفاف درجة يغذي بها عوج الميول ووضيع الشهوات عند من ليس لهم حصانة روحية تحميهم، ومناعة فكرية ترفعهم الى سامي الرأي ونبل التفكير.

ان تجاهل المرض يكون احياناً من اسباب الشقاء ومن وسائل الفناء.. ووظيفة الكاتب لا تنكر في علاج الامراض الاجتماعية او بالاصح الامراض الانسانية، لما للفكر من التأثير في الاحوال الخاصة والعامة، ولما يوجد من ارتباط مكين بين الحالات النفسية والجسدية.

بل ان الكاتب بما يكتب يشكل المدرسة الثانية التي تقيم وسائل التهذيب، واساليب الحياة في التفكير. وما يتعلمه المرء منها يختمر في عقله الباطن ليظهر بمظهر جديد يختلف باختلاف تلك المدرسة من الرقي والانحطاط.

فان تلك الكلمات الحية التي تعبر عن اخلص الآراء واصدق المبادىء وانبل الاحاسيس، ترسم في افق الذهن اجمل الصور التي تلهب العزائم، وتعلي القلوب ايماناً وقوة.

فمدرسة الكاتب هي طريق الحياة، ومصباح الروح العميقة القوية، يضيء السبل المتغلغلة في اعماق المعاني التي لا تعرف مقاييس الانسان المحدودة، ولا حواجز الاماكن وسدود الزمان.

هذا هو الكاتب الحقيقي الذي نرجوه. وهذا هو الاديب الفنان الذي يتعطش الانسان دوماً للارتواء من ادبه.

والانسان بما ركب فيه من مزايا وملكات خصه الله بها، ورفعه عن غيره من المخلوقات، عليه ان يحافظ على مستواه الادبي بما اوتي من قوة وعزيمة، فيمتنع عن الغواية والشطط ويكون من اصحاب النفوس القوية الذين يستخرجون من كل قراءة غذاء صالحاً مفيداً.

وهذه المحافظة ان كانت للرجل لازمة، فهي للمرأة الزم، لما يرتبط بها من سعادة الاسر ولما يلقى عليها من واجب تهذيب الاجيال وصلاح المجتمعات.

سلوى محمصاني مومنة



بقلم الدكتور ابو مدين الشافعي

مدرس علم النفس المنتدب بجامعة فؤاد الاول

◆

يشكو الكثير من الناس من حالة خمول تعتريهم من حين الى آخر . وبعضهم يتعاطى مواد كميائية تساعد على الصحو وتزيد في اليقظة وترفع من النشاط . ولكن هذه المواد لا تحدث الاثر المطلوب الا في فترة قصيرة ولا يلبث ذلك الاثر ان يتحول ويحدث اضطراباً في وظائف حيوية هامة . ويعقب حالة التيقظ السريع حالة هبوط عميقة وشعور بخمول اكبر من الاول .

ويجب ان نعرف السبب الطبيعي الذي احدث الخمول في اول فترة ، ويكون العلاج الحقيقي بالقضاء على السبب الاصلي .

وهناك صلة وثيقة بين الخمول وتوازن مختلف القوى الحيوية في الانسان . واهم هذه القوى تتمثل في النشاط العصبي والهرموني والنشاط الدموي والعضلي . ويتأثر النشاط النفسي تأثراً مباشراً بحالة التوازن بين القوى الحيوية . وكلنا لاحظ ، بشيء بسيط من التأمل ، ان التعب والتخمة قد يحدثان حالة الخمول . واما حالة الجوع وما يصحبها من الم في المعدة فانها تحدث في اول امرها نوعاً من التيقظ وترفع درجة الانتباه ثم ينقلب الموقف الى الخمول بعد ما يفقد الجسم توازنه .

فالخمول والشعور بالهبوط اكبر دليل على وجود عجز في نوع من انواع النشاط الانساني . فاذا كان العجز في نشاط جسمي فيكون من السهل تدارك الامر بارجاع النشاط الى توازنه وتلبية مطالب الجسم — وهناك اضطراب هام في عملية افراز السكر في الجسم يحدث اضطراباً واضحاً في النشاط النفسي والجسمي . يشعر الشخص نتيجة زيادة افراز كمية السكر واضطراب احتراقه بنوع من الهبوط . ففي مثل هذه الحال لا يمكن تخليص الشخص من الخمول الا بارجاع القوى الجسمية الى حالتها الطبيعية . ونقيس على هذه الحال كل انواع الخمول التي تتبع الامراض الجسمية التي تضعف . فالخمول المصاحب للمرض الجسمي يكاد يكون خمولا طبيعياً بل قد يكون الخمول في بعض الاحيان دليلا على بداية اضطراب في الصحة العامة ويكون الخمول ايضاً مصاحباً لحالة الشيخوخة

وهناك نوع من الخمول يهمنا اكثر في هذه المقالة . واعني به الخمول الذى لا تعرف له اسباب جسمية ، ويكون مسيطراً على الشخص رغم سلامة الجسم وتوافر قواه بكل شروطها . ففي مثل هذه الحال يجب ان نتجه الى الاسباب النفسية مثل السأم والفراغ ووفرة الراحة وسهولة الحياة والاسراف في القناعة والخضوع المطلق والفهم الخاطىء لحقيقة القضاء والقدر .

وتعتبر هذه العوامل للخمول اخطر من العوامل الجسمية التي يمكن الوصول اليها بسهولة واما العوامل النفسية فانها في اغلب الاحيان تعمل دون ان يعرف الشخص نفسه ان خموله ناتج عنها . ويكون في حاجة الى ان تدرس حالته دراسة دقيقة ليكشف عن السبب الحقيقي الذي يقعده عن العمل ويصرفه عن بذل المجهود الضروري للكفاح .

فالسأم مثلاً قد يجعل الشخص يمل عمله خصوصاً ان كان هذا الشخص

عاجزاً عن الاستقرار ، وميالا الى التغيير والتجديد . فاستمرار العمل يتطلب صبراً وقوة ارادة قد تعوز الشخص الذي يستولي عليه السأم بسهولة .

ويحدث السأم نوعاً من الشلل الارادي ، وكثيراً ما تتعدى آثاره الاعصاب الارادية الى الجهاز العصبي السمبتاوي وتظهر آثاره في شكل ضعف في الوظائف الحيوية. ويحدث ذلك بدوره هبوطاً في الجهاز العصبي الارادي . ويفهم من هنا ان السأم كحالة نفسية يمكنه ان ينقلب الى حالة جسمية .

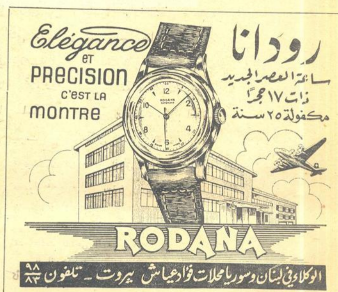
وكل الاشخاص الذين ترغمهم أعمالهم على الاستمرار مدة طويلة في اتجاه واحد ووضع جسمي معين فانهم لا يلبثون ان يشعروا بالسأم كحالة نفسية اولاً ثم كحالة جسمية .

ويمكننا ان نلاحظ على الاطفال ان السأم يوقعهم بسهولة في نوم عميق . فالاشخاص الكبار لا يصلون الى النوم ولكنهم يتعرضون الى حالة استرخاء وهبوط نسميه خمولا لان الشخص لا يجد بعد ذلك من نفسه اي ميل الى القيام بعمل ما او بذل اي نوع من النشاط .

وأما صلة الفراغ بالخمول فانها راجعة الى صلة الفراغ بالسأم . الا ان السأم من استمرار عمل واحد او ادراك معين أهون في الاثر النفسي من الفراغ . فكلاهما يحدث خمولا ، غير ان الخمول الناتج عن السأم يكاد يكون خالياً من الخطر فأقصى ما يحدثه هو جعل الشخص السئم يقع في حالة نوم . واما الفراغ فانه يجعل الشخص يقبل على التحدث النفسي الداخلي . وتظهر التخيلات والاوهام ويؤدي ذلك في الغالب الى حالة الذهول التي نشاهدها عند بعض الناس . ويكون الذهول مصحوباً بهبوط شامل في كل مظاهر النشاط ويظهر الشخص خاملاً عاجزاً عن القيام بأي عمل . وفي مثل هذه الحالة يكون الخمول حالة مرضية لان الوظائف الحيوية نفسها تميل الى الكسل والاضطراب ويصل الامر بالشخص الى النفور من اللذات الضرورية وفي اغلب الاحيان يؤدي هذا الهبوط الى ذبول عام وضعف شامل في الملكات النفسية والقدرات الجسمية . فالسأم والفراغ من الاسباب الهامة التي تقضي على التكامل وتعرض القوى الى الاضمحلال والتفكك .

واما وفرة الراحة وسهولة الحياة هي اسباب تجعل الشخص غير قادر على الكفاح . واكثر الاشخاص الذين يفشلون في الحياة ويسيطر عليهم الخمول هم اشخاص لم يتعودوا بذل المجهود الضروري للمحافظة على الحياة وهم اشخاص صادفوا ظروفاً سهلة حققت لهم كل وسائل الراحة . فالاب الذي يمهد كل شيء لابنه يقضي دون ان يشعر على النشاط النفسي ، يعرض ابنه للخمول .

وهناك أشخاص يسرفون في القناعة ويخضعون الخضوع المطلق لحقيقة القضاء والقدر معتقدين ان هذا الموقف الذي يجب ان نقفه امام المصائب الكبرى يجب ان يعمم وان نقفه في كل لحظة . ففكرة القضاء والقدر عزاء المنكوبين وهو دواء يجب ان نستعمله في مواقف معينة . فالشخص الذي يحصر كل نشاطه في الخضوع المطلق للقضاء والقدر لا يلبث ان يصاب بشلل ارادي وتظهر عليه علامات الخمول . فداء الشرق الاصلي راجع الى اخطاء كبيرة في فهم حقيقة القضاء والقدر . والعيب ناشىء من طريقة فهم هذه الحقيقة . فأغلب الناس يفقدون القدرة على ابتكار اعمال يناضلون بها في الحياة منتظرين تدخل القضاء وتصرف القدر ، ووقعنا في الاعمال الارتجالية التي لا يسيرها مبدأ عقلي يقصد أحسن الغايات بأقرب الوسائل . كذلك اكتفى أغلبنا بالانتظار الذي يؤدي غالباً الى الخمول ان لم يصل بنا الى النوم ...



القاهرة — ابو مدين الشافعي



مهداة الى الاستاذ مارون عبود

●

هذه القصيدة التي نظمتها حديثًا قوامها على قصة وقعت حوادثها هنا في البحرين، وليس لي من فضل في سردها الا النظم. ولعل من حسنات القصيدة – التي تشفع لها – اللون المحلي الذي ينشده الاستاذ مارون عبود

●

كم آية لله في خلقه
مظهرها الحسن!
يا من له قلب.. الافاسقه
من كأسنا نحن

ابصرتها خوداً على فقرها ... كأنها الريحان في الآنيه
ترفع ما تجني على رأسها ... حاسرة – رأد الضحى – حافيه
وسط نثار القمح تمشي به ... في حقلها ضاحكة لاهيه
فلو بدا لا «حسن» في غيرها ... ما اختارها الا على ما هيه
قريرة العين بما تجتلي ... من فرشه، محتضناً واديه
والماء يجري تحتها سلسلًا ... ينفض برديه، من الساقيه
كم أنشد الطير على بابها ... بكل ما تشعره هانيه
كأنما ينبع من قلبها ... ما انطق الله به شاديه
اغنية في الحب معسولة ... لا الوزن يزريها ولا القافيه
غانية ... قد زانها انها ... تنعم في الاسمال بالعافيه

لقد أعادت للضحى انسه
لما اثنت تيها
كأنما «الحسن» يرى نفسه
مجسما فيها

وعاش للخود ابنُ عم لها
ألف ما بينها سعيه
فحظه منها على وصله
كان اذا امسى فهشت له
كأنما البدر على وجهها
كان اذا آوى الى رحله
كأنما الانجم تلقي له
ولم تكن « نعم » وقد نهدت
وانما عاشت من الصون في
كأنما الحسن الذي زانها

كأنه آيتها في الجهاد
لودها بالرزق من كل واد
كحظها منه — قراء وزاد
وحدثته بليالي الحصاد
يشرق بالانوار ملء الوهاد
حبب في صمت اليه السهاد
لألأة عنها حديثاً يعاد
اقل اصغاء لهمس الفؤاد
زهو الثريا، رغم قرب الوساد
ما صانها الا لأمر يراد

كلاهما يسعى بلا منة
لراحة الآخر
ضمها طيرين في جنة
حبهما الطاهر

ومرت الاشهر في حسنها
كأنما هل بها كوكب
فكل صبح نظرة .. تلتقي
وكل عصر موعد .. ينتهي
هل يذكر القمري اذ أقبلا
وكفها اليسرى على صدرها
« يا هانئي! اصدقني، فلو نالني
أكنت تهواني ، لو لم يكن
وكاد لا يفصح عن رده
فقربت فاها على رعشة

أشبه شيء بشذور اللآل
في غمرة من نوره، ثم زال
على معان، كم لها من ظلال
في نزهة ، يغفو عليها الجبال
يوماً، فأغضت طرفها في دلال
في مجول ضاء بها كالهلال
غيرك بالدنيا . رفضت النوال
لي في شباب العمر هذا الجمال »
لولا دموع بدرت بانهمال
تلقط من فيه جواب السؤال

قد قدر الله لنا عيشة
فنحن نحياها
ما كل من ينشد امنية
يا نعم ! يؤتاها

وزارها هانيء يوماً على
يجر ساقيه الى كوخها
فرابها أمر ... وودت اسى
« ما لك يا هانيء ! تمشي كمن

غير الذي تعهد من حاله
جرأ ، ويستأذن كالواله
لو انها نات بأثقاله
يرسف — مجروحاً — بأغلاله ؟

الله في قلب تمادى به
فأطرق الرأس ملياً ، كمن
وقال « يا بؤسي ! الا ليتني
هذا المعيدي الذي حقلنا
توارثوا الملك يداً عن يد
فها هو اليوم اتي خاطباً

حبك .. لا تعبث بآماله »
يستنكر الخرق بأعماله
مت ولم أضرع لامثاله .
ملك — بمن فيه — لاخواله
كأننا من بعض انفاله
حسنك — لا كان — على ماله .

ولم يكد يلفظها — قطرة
من كأسه المرة —
حتى رآها جمدت .. صورة
ثم هوت .. صخرة

اهكذا ينهار في لجة
وتذبل الآمال في روضها
فليتها ما لبست حلة الـ
اضاءة الشمس لما حولها
وبت في الامر ، وتم الذي
فحف بالغادة اترابها
من كل حوراء ، كأن الكرى
يحلينها بالطيب في عرشة
فاختلجت في عينها دمعة
وزفت البنت الى عرسها

ما عرش الحب لاحيانها
ولم تطف — بعد — بريحانها
حسن ، ولا ضاء بوجدانها
وهي معراة لنيرانها
شاءت لها الام بطغيانها
يصلحن — كالعادة — من شانها
يضحك للصبح بأجفانها
بولغ في حمرة اركانها
غص بها الخلق لتهتانها
قد علم الله بأشجانها

كوردة جلوتها لم تطل
في حضن مياس
حتى حواها القصر بين الكلل
حانية الرأس

واصبحت لؤلؤة القصر ، لا
فعطرت فاه بأنفاسها
وبللت بالدمع اشواقه
لائذة بالذل من صمتها
« كم كنت اهواك ، ولكنني
ولم يعد في قلبها موضع
كزورق في لجة ، غاب عن
تنسيه في الليل هموم الضحى

تملك للمالك الا رضاه
ساعة ما دارت عليها يداه
كما يبل الزهر طيباً نداه
بين يدي عزته حين فاه :
اعبدك اليوم لهذا الشذاه ! »
تشكوه من شدة ماقدعراه
نوتيه الكوكب وهناً ، فتاه
كأنها في الدهر معنى صباه

حتى اذا اغفى على حلمه — عادت ترى في الحلم ما لا يراه
كأنما عاد لها عيشها — بين مجالي الزهر، حول المياه

لم تأل في خدمته جهدها
بحسنها الفاني
دافن في قلبها عهدها
ل « قلبها الثاني »

ومرت الايام، والكل من — نعم وما جد لها في حبور
الا فؤاداً في دجى يأسه — تخطفته بارحات النسور
كم ناشد الانجم عن لحظها — وعن سراها ناعسات الزهور
وناشد القمري عن ضحكها — وعن صباها البدر اذ يستدير
وكم أجال الطرف من حوله — فلا يرى الا الدوالي تدور
وكوخها خلف الربى خاوياً — من بعدها تأوي اليه الطيور
فيذرف الدمع على حاله — كأنما الدمع بقايا سطور
من قصة يحمل في قلبه — عنوانها، مُرخى عليها ستور
وكم اطلت غادة القصر من — شرفتها تحلم، والصبح نور
فأبصرته، مثل طيف الهنا — في ارضها يلقي عليها البذور

اهكذا ينهار في غرسها
ما شاده الحب ؟
ويمحي ما خط في طرسها
من دمه القلب

في قلبه « نعم » غدت نية
تسمو بأمثاله
فهو يغني الصبح اغنية
تنبىء عن حاله :

« يا محيي الليل بأنغامه — قطعاً اوتاره في الصباح
وساكباً في الكأس من دمعه — ودمعه قد حال في الكأس راح
دار على الخلق بها، وهو من — سكرة ما يحمله غير صاح
يندب عهداً لشباب مضى — لو كان يغني عن شجي نواح
يأبى على قلبك في سجنه — تقلب الدهر دوام انشراح
يا ناشد القلب جنى غرسه — قد بسط الليل عليه الجناح
سيل في الدمع سويداءه — لو روحته عبرة لاستراح
يستنزل القطر على وردة — ذابلة قد صوحتها الرياح
وما تبقى فيه من حرقة — تزهر بالسر الذي لا يباح

ابق على نفسك، فالليل مهما طال — لا بد له من صباح

وكلما ردها ملها
حنت الى عهده
عهد هناء . امسه منها
كالنجم في بعده !

واقبل الصيف كذي موكب — تبتهج الدنيا به حيث سار
تميل بالاعواد خضرة — انفاسه الحرى، فتؤتي ثمار
ووشوش النادي على غصنه — كيف قضى عطلته منذ طار
بين مياه سال من فيضها الـ — وادي، وما حف به من بهار
وآوت المعزى الى ظلها — كأنها صورتها في الاطار
فبينا المالك في قصره — يوماً وقد طال عليه النهار
فنال من سلفته ما اشتهى — ثم دعا بالماء . والريح نار
داعب جفنيه الكرى، دون ان يشعر، فاستلقى لنوم غرار
وبعدما عاد الى وعيه — والليل من انجمه في ازدهار
ابصرها — والكأس في كفها — قائمة بالماء، في الانتظار

فقال « ما اسعد في الفه
زوجاً حوى مثلك !
من عاش بعد اليوم فلتكفه
ذات هوى عدلك » :

نعم ! لقد قلدتني منة — اذكرها ما عشت بين الرفاق
تالله، لا يحلم ذو ثروة — ببعض هذا عند دفع الصداق
آليت الا تطلبي حاجة — الا وافضيها ؛ قبيل اعتناق
قولي أسمط الدر يرضيك، ام — مرسلة ذات حواش رقاق ؟
فأعرضت قائلة « اعفني ! — وهل جزاء الحب الا الوفاق »
قال « بلى ! لا بد ان انتهي — منك الى الغاية . فيما يطاق
ما الذهب الابريز — ان رمته — بعرق عني تحت الطباق
فالتمسي مني جزاء على — حبك، ان الشكر حلو المذاق
فردد القصر صدى سرها — كأنها تبكي لطول اشتياق :
« ان كنت لا بد مجازي عن صدق، فجد لي — منعماً — بالطلاق »

وعادت العود الى حقلها
كعهدها الاول
عادت لمن تهواه من اهلها
كالورد . . . للبلبل !

الجريم — ابراهيم العريض

من ايام الرعب



بقلم يوسف الشاروني

عبدالله

الملكة فريدة يكاد يكون ازحم ميادين القاهرة ، لا سيما في الصباح، حين تكون الكتل البشرية المتراصة في الترامات والسيارات اخذت ترحف نحو المكاتب والمخازن والمصانع ويختلط الضجيج بالحركة كأنك تشهد « فيلماً » امريكياً عنيفاً ، فالسيارات مع العربات مع الترامات مع الكائنات البشرية ما بين باعة ومستخدمين وسيدات ، من كل نوع وجنس، يعبرون هذه الطريق دفعة واحدة ، حتى اذا اشار شرطي المرور بيده واطلق صفارته وقفت حركة هذه الطريق وزحفت حركة الطريق الاخرى تكتسح الهدوء المؤقت الذي سادفيها بعض اللحظة .

ومن الميدان تتدعدة طرق تبتلع هذا العدد الزاخر من الترامات والسيارات والخلائق البشرية المنطلقة على اقدامها ، وتنصب في الميدان كتلا اخرى . وفي الطرف الشمالي من الميدان تمتد احدى الطرق الكبرى، تأخذ من الوافدين على الميدان بقدرما تدفع اليه

وكان محمد افندي عجور - وهو اسم قد يبدو مضحكاً - يسير مسرعاً كانما يهرب من الميدان منطلقاً في تلك الطريق، وهو يبحث عبثاً عن سبب لاحساسه بالقرف ، وامامه تماماً - وعلى بعد ثلاث خطوات منه - كان الاستاذ قدري يسير بسرعة اقل . والاستاذ قدري هو استاذ علم الجراثيم باحدى كليات الطب ، وقد اتيح له - بما له من علم - ان يدرك الى اى حد يزدحم الهواء والطعام والملبس بالجراثيم ، والى اي حد تتربص الاوبئة والامراض في كل مكان لتفجأك .

وقد حدث ان التقى الاستاذ الطبيب بعجور افندي من قبل في غير هذا المكان وفي غير هذه الظروف، ربما كان ذلك منذ عشر سنوات، عندما ذهب عجور افندي مع قريب له يعرف الاستاذ الطبيب ليحقن باللقاح الواقي من مرض معد كان منتشراً في تلك الايام . وقد ابدى الاستاذ الطبيب في ذلك اليوم كل مواهبه واحتياطاته ، وافاد كل الافادة من علمه وسعة اطلاعه . فقد كشف عن ذراع عجور افندي ، ومسح بالمحلول المطهر على مكان الحقنة ، ثم لم يعجبه ما فعل فعاد من جديد يمسح على ذراع الرجل كأنما هو فنان ناشىء يرسم على لوحة زيتية ، وعجور افندي مغمض عينيه يتوقع ولوج الابرة في ذراعه في اية لحظة ، ثم طهر الابرة على النار ثم غمسها في محاول مطهر ، فهو يعلم الى اي حد يزدحم الهواء بالجراثيم . وقد انصرف عجور افندي وقريبه وهما يحملان ذكريات يتندران بها كلما جمعهما مجلس . ورغم ذلك فلا تحسب ان هناك الآن ايه صلة من التعارف بينهما ، فقد كانت القصة منذ زمن بعيد ، وعجور افندي قد يتذكرها ولا يتذكر وجه الطبيب ثم انه كان مشغولا بقرفه بحيث يصرفه عن تذكر اية نادرة مضحكة ذات ماض بعيد . فالصلة بينهما الآن هي صلة الطريق في هذه الساعة المبكرة من الصباح .

وكان يمكنك ان تستدل بسهولة على ان ذلك كان في الصباح، لان الطريق - كما يقولون بلغة المجاز - كانت تستيقظ . فالمطعم الذي يبيع الفول والطعمية يكاد يزدحم بالعمال يتناولون فيه طعام افطارهم ، والحلاق لا يزال يفتح صالونه في تثاؤب وبائع السجائر - والحشيش احياناً - لم يمر به غير عشرين من زبائنه، والهواء بكر لم يلوثه بعد عرق الكادحين ولا جهدهم المتواصل المستديم .

وكان الآن عجور افندي قد حاذى الاستاذ قدري واوشك ان يسبقه ، حين تذكر فجأة سبب استيائه واحساسه بالقرف .

ولسنا ندري ابداً ما الذي حدا بهذين الشخصين ان يسيرا في مثل هذا الوقت المبكر في تلك الطريق . فالساعة الآن السابعة والثلث، وعجور افندي موظف بالحكومة المصرية ، ويبدأ عمله



في تمام الثامنة ، وقد امضى في هذا العمل نحو خمسة وعشرين عاماً ما بين شبابه وكهولته ، كان في خلالها مثال الموظف الامين يستيقظ متأخراً دائماً ، ثم يقوم في عجلة ليرتدي ملابسه ، فاذا لم يجد امامه فسحة من الوقت فليس من الضروري ان يغسل وجهه بل يكتفي برشه بالماء رشاً خفيفاً ، ثم يهرول حاملاً فطوره تحت ابطه ، ليصل دائماً في الميعاد. اما الاستاذ قدري فمحاضرته في الجامعة تبدأ في تمام التاسعة وليست طريقه من هنا ابداً ، فهو لا يسكن هذا الحي ، ولا تقع هذه الطريق بين مسكنه والجامعة، وهو يدرك ان الشوارع المزدحمة بالناس هي ازحم الشوارع بالجرائم . فضلاً عن ان اليوم كان يوم الجمعة ، وهو يوم عطلة للاساتذة والموظفين .

وكان ثمت شيء هام جداً يشغل الاستاذ الطبيب ، ذلك ان احدهم تقدم مساء الامس بالذات ليخطب منه ابنته عفاف،وعفاف وحيدته ، وهو يدرك انه يحبها اكثر مما هي تحبه ، وكان يعلم انها ستفارقه يوماً ما ، غير انه لم يكن يحب ان يواجه نفسه بهذه الحقيقة ، كما كان يجيد تأجيل التفكير فيها ، حتى زاره بالامس شاب انيق اناقة واضحة ، لا يزيد عمره فيما يبدو عن الحادية والعشرين،يضع (عوينات) امريكية وينتعل حذاء لا صوت له ، واخبره انه سيتزوج عفاف خلال الشهر القادم ، وافهمه بطريقة غير مباشرة انه لم يأته ليطلب موافقته بل لمجرد التبليغ ومن باب الذوق وكي يتعرف به ، فهو متفق معها وهي متفقة معه ، ثم حياه في ادب وانصرف ، وكان هذا امراً غير مألوف في مصر في ذلك الوقت . وكانت عفاف قد اشارت الى شيء من هذا القبيل لوالدها ذات مرة ، غير انه لم يحسبها جادة في الامر . ولم يكن ثمت قرار معين قد استقر عليه رأيه فتشغله الآن طريقة تنفيذه ، بل هي مجرد حيرة لا يعرف لها حلاً . فهو لا يدري وهل يوافق على زواجها او لا يوافق ، واذا مانع فهل تراه يستطيع السيطرة على الموقف او لا يستطيع ، وهل تراه يفرح او يكتئب . . وهكذا انطلق يسير متظاهراً بقراءة واجهات المحال ومراقبة وجوه العابرين . فهنا عمامة وهناك طربوش ، وهذه عربة وتلك دراجة ، وهذا عابس وذا باسم وهذه لحية وذلك شارب ، وثمة مقهى وثمة مطعم ، ودكان صابون ومخزن خشب ومحل قماش فأحذية فساعات فجبن وزيت وزيتون ، فرائحة تفاح ، فرائحة خبز ، فصوت سوط ، فأرض الطريق ، فطرف البنطلون ، فوجهان ، فوجوه فوجوه فوجوه،فوجه عجور افندي ـ بغير ان يعرف اسمه طبعاً ـ بظهره المنحني قليلاً ،

ولحيته البيضاء النامية قليلاً ، وخطواته المسرعة كثيراً ، وكانت هذه هي اللحظة نفسها التي اكتشف فيها عجور افندي سبب قرفه .

وفي الواقع كان هناك اكثر من سبب يحمله على قرفه ، لكنه كان يريد ان يختار واحداً بالذات يراه المفسر الحقيقي لحالته النفسية وقد ظن اولا انه ربما يكون نفاد المرتب ، فهو في الايام الاخيرة من الشهر ، وهو يعرف مصير المرتب : سيكون ما بين الخباز والجزار والبدال والجار المنزل « وبوفيه » المصلحة ومصاريف الاولاد ومطالب الزوجة غير انه ابعد هذا السبب ـ رغم وجوده ـ وفكر فيما وجهه اليه رئيسه الجديد بالامس من كلمات اعتبرها اهانة لكرامته دون ان يستطيع الرد عليه وقد آذته تلك الكلمات اشد الايذاء ، واعتبرها تجاهلاً من رئيسه للسنوات الطوال التي امضاها في خدمة الحكومة نظيفة لم يتخللها عقاب ولم يدركها انذار وفجأة عرف السبب الحقيقي لاشمئزازه ، وكان ذلك امام مكتبة العرب،عندما اضطر ان ينحني في خط سيره ليتفادى السائر امامه ـ وهو الاستاذ قدري ـ ثم يعود فينحني ليسير في طريقه مسرعاً من جديد .

في هذه اللحظة وقف الاستاذ الطبيب ثم غيّر الطريق ، ففي الجانب الآخر استلفت نظره محل لبيع المصوغات، وكانت الالوان الفضية والذهبية والزمردية تبدو كأنها منداة ، فوقف يتأملها . وقد اشاعت هذه الحركة المفاجئة بعض الاضطراب في سير عجور افندي ، لكن سرعان ما انتظم خطوه ، واختفت مؤقتاً قامة الطبيب الفارعة من مجاله البصري،وان ظل ظلها عالقاً بمجاله الذهني .

ولمح الفقاقيع تتصاعد من نرجيلة احد الجالسين على مقهى ، وهمّ اثنان بان يتشاجرا ثم عدلا ، ونادى رجل واجابت امرأة ، واصطدم به طفل وكاد يصطدم بآخر ، واخذت الطريق تزدحم وحركة السائرين والراكبين تسرع فيها ولا شك في انه كان هناك في الطريق اشخاص كثيرون ليسوا اقل اهمية من الموظف الحكومي والاستاذ الطبيب ، غير انهم ربما كانوا اقل حيرة واكثر وضوحاً في حل مشاكلهم اليومية ومن بين هؤلاء كان العمال الذاهبون الى مصانعهم ، ومنهم ذلك الصانع النحيف الوجيه الذي فتح لتوه دكانه وكان اول الداخلين فيه هو الاستاذ الطبيب .

وسأله عن سعر الذهب اليوم ، وفكر لحظة في ان يبيع مصوغات زوجه التي توفيت منذ زمن غير قريب، ثم استنكر هذا الرأي ، ثم عاد يسأل عن ثمن الاقراط والاساور والخواتم ، وتحير فيما عساه يختار . فلما خرج كان يحمل في جيبه سوارين دفع فيها

كل ما كان معه من نقود : فلقد كان يحب امها ، وعفاف اليوم شديدة الشبه بامها .

ومرقت سيارة ومن خلفها دراجة ، وانبعثت فجأة موسيقى صاخبة من مذياع ثم عادت وتلاشت ، ونادى بائع على صحف الصباح ، ووقف عجور افندي واشعل لفافة وتأمل لهب الثقاب لحظة ثم سرعان ما اطفأه وعاد يسير ، وهو كلما تذكر تفاهة السبب — وهو يمسح احدى عينيه التي غشيها بعض دخان اللفافة فآلمته — زادهذا في قرفه . فالمسألة كما بدت له في ظاهرها بدأت هكذا . (وهنا حك ظهره لسبب ما) ففي المساء عندما حان وقت العشاء احضرت له زوجه بيضاً مقلياً ، وهو لا يذوق البيض المقلي ابداً ، وصاح فيها مؤنباً : هل تعرفين اني آكل البيض المقلي ؟ وترى من هذا انه كان مؤدباً في غضبه عن كثيرين من الازواج في ذلك الوقت غير انه لم يكتف بهذا بل تظاهر بقذف الصحن ، وكان ينوي ابعاده عنه فحسب اظهاراً لسخطه وتعبيراً عنه (وهنا شاهد رجلا يتزلق في الطريق فانطلق ضاحكاً بصوت مسموع) غير ان الصحن الملعون ظن ان عجور افندي جاد في غضبه ، فاندفع يتدحرج من فوق المنضدة على الارض ، وظل يتقلب ويدور محدثاً صوتاً متكرراً مزعجاً حتى استقر وقد تناثر ما فيه من البيض والسمن ، وكان عجوز افندي جائعاً كل الجوع غير انه لا يستطيع التراجع الآن لا سيما وان امرأته بدأت تدافع عن نفسها ، وكان هذا هو افظع ما في الموضوع ، فلماذا يتاح لها ان تدافع عن نفسها امامه ولا يتاح له هو الدفاع عن نفسه امام رئيسه ؟ وهكذا صرخ آمراً ان تصمت غير انها لم تصمت وكان قدتزوجها منذ خمسة وعشرين عاماً ، منذ اليوم الذى تسلم فيه عمله تسلمها هي من ابيها وتذكر الآن فقط انه كان قد قرأ في الصحف ان ثمت حركات نسائية ظهرت اخيراً في البلد (وهنا شم رائحة كعك ولمح غباراً يتطاير وراء عربة) غير انه ما كان يحسب ان اثر هذه الحركات سيصل الى منزله ، فيرى زوجه تثور امامه وترد على كلماته بمثلها ، وتزعزع مكانته وهيبته امام الاولاد ، الذين رآهم اذ ذاك يتسللون في خوف وحذر يراقبون المعركة من بعيد ، وعندما حان وقت النوم ، لم يدعها معه على الفراش ، واغاظه منها انها لم تبد اية رغبة . وكان هذا — فيما يبدو له — سر قرفه الحقيقي .

.. وفجأة وجد نفسه وجهاً لوجه امام مصطفى بك رئيسه الجديد ، وكان شاباً في مقتبل العمر ، جميل الوجه انيق الهندام شامخ الطلعة ، يصلح ان يكون زوجاً ممتازاً لكبرى بناته . وشوهد عجور افندي وهو يسرع ويسلم منحنياً ثم يشعر بنوع من الحيرة لانه لا يدري ماذا يمكنه ان يفعل في هذا الظرف المفاجىء اكراماً لرئيسه . وقد سأله مصطفى بك متلطفاً عن سبب وجوده في هذه الطريق ، وكان هذا في الحق سؤالا محرجاً للغاية ، وعجور افندي ليس حاضر البديهة فيما يبدو ، فكان عليه ان يفكر قليلاً . . . حين سأله مصطفى بك مرة اخرى عن الاولاد وصحتهم وكان من الواضح انها اسئلة لمجرد التلطف في الحديث ولا يهتم صاحبها باية اجابة ، الا ان عجور افندي يبحث عن اجابات دقيقة مخلصة ، ورغم انه لم ينس كلمات الامس الا ان هذا التلطف في الحديث اثلج صدره واشاع

الغبطة في روحه وجسده وازاح عنه مؤقتاً ذلك الاحساس بالقرف والهم والشعور بالشيخوخة والنقص، حتى لقد شوهدت ثمت ابتسامة عريضة عالقة بشفتيه عندما انطلق يسير وحده من جديد .

في هذه اللحظة — وعلى الجانب الآخر من الطريق — كان الاستاذ قدري قد عاد فسبق عجور افندي وكانت خطواته الآن قد انتظمت بعض الشيء واسرعت قليلاً عن ذي قبل، وفي تفكيره لم يكن قد استقر بعد استقراراً تاماً فيما يتعلق بمستقبل عفاف، وفي جيبه كان يحمل لها سوارين كمفاجأة وتهنئة . ثم اصبح تتبعه عسيراً وسط الزحام المتكاثر، فكان يختفي حيناً ويبدو حيناً ، ثم اصبح يختفي احياناً ويظهر لماماً .

وسعل رجل وبصق آخر ، وتدلت الذبائح الحمراء المشوبة بالبياض ، وتدحرجت برتقالات صفراء من عربة تنهب الارض، ومرت فتاة واقبلت اخريان، فثلاثة رجال فأربعة رجال، والمنازل تقل والحوانيت تتكاثر وجانبا الطريق يزدحمان ويزدحمان، ثم تمتلىء الطريق نفسها وتزدحم حتى يكاد يقف المرور، ويتكاثر الناس ويتجمعون في شبه دائرة ، ربما هو شروع في مظاهرة ، او لعلهم يلتفون حول صبي جريح يتأملون فيه الموت وينزعجون ، وفجأة انطلقت ايديهم بالتصفيق ووجد عجور افندي نفسه امام الاستاذ قدري وجهاً لوجه وتفرس فيه قليلاً، وتذكر شيئاً غامضاً اقلقه لحظة ، لعله شيء قريب جداً ولعله شيء بعيد جداً ، ثم عاد يمد قامته عساه يلمح شيئاً وسمع بعضهم يقول انه مزاد أوشك ان يبدأ ، ثم سمع آخر يسخف هذا الرأي ويقول بل هو خطيب يستريح لحظة ليعاود الصياح ، وقال ثالث مؤكداً بل هو ايها المغفل حاو من الحواة، وود عجور افندي ان يتأكد مما يزدحم حوله الناس في مثل هذا الوقت من الصباح فقد كان يحسب الناس في مثل هذا الوقت من النهار وفي مثل هذا اليوم من الاسبوع لايزالون جميعهم يغطون في نوم عميق . ومد قامته ومد اذنيه ومد عينيه . وفجأة اخذت السماء تمطر رذاذاً خفيفاً — فقد نسيت ان اقول انه كان يوماً من طلائع الخريف وقبل ان يعرف عجور افندي حقيقة الزحام كان الجمهور قد تفرق مسرعاً فلما انجلت الطريق كانت الارض قد ابتلت بللا خفيفاً ، والشمس عادت اشراقاً هيناً رفيقاً ، والاستاذ الطبيب قد انغمر في الزحمة الهاربة .

وفاحت رائحة عطر فرائحة شواء فرائحة عطر ، واقبلت فتاة فأخرى ، ثم فتى وفتاة ، ثم فتى وفتاتان ، ثم فتيان وفتيات وفتيان وفتيات ممتلئين صحة واملا . اما هو فكان قد استنفد ، وكان واثقاً ان الشيخوخة شاعت في روحه وجسده ، وانه عبر الطريق من آخرها منذ خمسة وعشرين عاماً ، منذ اليوم الذي طلق فيه مدرسته ووجد وظيفته وتزوج، منذ ذلك الحين وحياته كبندول الساعة تتحرك من تلقاء ذاتها ، نفس الحركة ، مرة كل اربع وعشرين ساعة . اما هؤلاء فلما يبدأوا طريقهم في الحياة بعد، وهم يستطيعون ان يفاضلوا بين شتى الطرق ويختاروا منها واحدة تلائمهم يجدون فيها احلامهم، ويعثرون فيها على كنوزهم المخبأة في نفوسهم .

ولسنا نعرف ما الذي اغرى محمد افندي عجور على هذا النوع من التفكير المعقد الحزين، فهو قد يشيع في دمائه كسديم عاطفي اسيان ، لكنه قلما يتضح له هذا الوضوح . لعله رؤيته لرئيسه الشاب، ولعله مراقبته للفتيان والفتيات الممتلئين صحة ونضارة، ولعله قرفه مما حدث بالامس ، ولعله ان يكون سيره الذي لم يتعوده في هذه الطريق في هذا الوقت الحي النابض من النهار .

وكان ثمت خادم في الطابق السابع تنظف سجادة على رأس المارين ، واخرى تدلي بسلتها وتصرخ وسائر يقرأ صحيفة، وآخر يحدق في الفراغ، وهذا رأسه صلعاء، وتلك شعرها معقوص، وسيارة بوقها يدوي ، ومذياع قرآنه يعلو ، ورجل يسرع وامراة تتحدث وكلب يجري وطفل يزعق ، وهذا يجي وذاك يجيب ، وعجور افندي يتذكر اسئلة ويتساءل حقاً عن سبب وجوده في مثل هذه الطريق . واخرج ساعته فاذا هي السابعة والنصف . وخشي ان يتهم عمله بضعف ما ، فأصر على انه كان ثمت سبب واضح لديه حين غادر منزله هذا الصباح ووصل الى الميدان واتجه في هذه الطريق غير ان حوادث الامس الملعونة، وغبطته المفاجئة حين التقائه برئيسه الناقم عليه منذ الامس ، ثم هذا التفكير المعقد الحزين ،

. . . كل هذا ضيع منه هدفه، فوقف، وعصر ذهنه يحاول ان يتذكر فلما يئس قفل راجعاً الى الميدان وهو يتطلع الى ما في الطريق عساه يكون ذا صلة بما حمله على المجي. هنا فيعينه على التذكر . .

ومر في طريقه بالعطر ولحظة المطر ومكان الزحمة والذبائح والغبطة والقرف والكعك والمكتبة والدراجة والمذياع وبائع المصوغات والنرجيلة والصابون والقماش والساعات والعطر والاحذية والجبن والحلاق والعطر والسيارة والغبار والمطعم وبائع السجائر — والحشيش احياناً — ثم الميدان والترامات وزرقة السماء وشرطي المرور وقلقلة العربات وابواق السيارات ، وانحرف الى الشمال ، واخترق زحام احدى الطرق الكبيرة الاخرى ، وانطلق يسير عسى ان يكون هدفه هناك .

القاهرة

يوسف الشاروني

الحضارة في الميزان

كاتب هذا المقال واسمه لودويج فون برتا لانكس من اصل نمسوي. وهو استاذ في الفلسفة. فقد كل ما كان يملك اثناء معركة « فينا » عام ١٩٤٥. وكان أهم ما يملكه : مكتبة تضم خمسة عشر ألف مجلد.

مترجمة عن الانكليزية

بقلم مبارك ابراهيم

☆

في قلب الصحراء، صحراء افريقيا الشمالية، ترقد تحت الثرى خرائب واطلال كانت يوماً ما من عرائس المدن في الامبراطورية الرومانية.

وقد كان كوليزيوم «تيدرس» يتسع مدرجه لستين الفاً من النظارة وكان لا يفوقه في السعة الا كوليزلام روما.

وكانت قنطرة «تراجان» مقامة فوق كثبان من الرمل لا يدرك الطرف مداها. وكانت تلك القنطرة — قبل قيام الحفريات الحديثة — الدليل الوحيد على انه كانت هناك مدينة جميلة زاهرة اسمها «تمجاد» (بالجزائر) عض عليها الدهر. ومحى اسمها من ذاكرة الزمان اثني عشر قرناً. فهل قدر لحضارتنا ان يكون هذا مآلها. ولمدائننا ان يكون هذا مصيرها؟

هذا هو السؤال الشائك الذي يواجهنا في كتاب الصحفي النرويجي «وليم فوكت» ومماه «الطريق الى البقاء» وقد جاء فيه: «ان العالم مريض. ومرضه اخطر مما قد بدأ يعرفه معظم زعماء العالم وقادته، ثم يجيء كاتب مقدمة ذلك الكتاب ويضيف الى ذلك قوله: «ان اكثر من دولة واحدة قد تم افلاسها افلاساً محى منها معالم الحضارة الماضية». وليس هناك من سبب يجعلنا نظن اننا قادرون على ان نجتنب هذا المصير حتى نغير ما بأنفسنا.

والمشاهد عن كثب احوال اوروبا يرى نفسه تميل الى المقارنة بين كتاب «فوكت» هذا الذي كتب في اعقاب الحرب العالمية الثانية. وبين كتاب آخر كتب والحرب العالمية الاولى قائمة واسمه «سقوط الغرب واضمحلاله» لمؤلفه الكاتب الالماني «اوزفلد سبنجلر» (١٨٨٠ — ١٩٣٦) ذلك الكاتب الذي اختص بالكتابة في فلسفة التاريخ. فنقطة البدء في الكتابين تختلف. ولكن النتائج تتشابه في الملامح او القسمات.

والانسان مخلوق خاضع لقوانين علم الاحياء. مثله في ذلك مثل المتمورة (الاميبا) ومثل التمساح والنمر والطائر الطنان. وانه وان يكن هناك كفاح من اجل الحياة في كل غابة وفي كل بركة مهما بدا في ظاهر الامر ان الهدوء فيها مستقر، فان التوازن قائم بين النبات والحيوان. كما هو قائم بين الفرائس وبين الضواري التي تنقض على تلك الفرائس. وذلك حتى لا يتزايد نوع من الانواع او يتجاوز حدوده على حساب نوع آخر. وبذلك يضمن كل نوع من الانواع لنفسه النجاة من الفناء.

والنوع الذي يشذ عن القاعدة هو النوع الانساني. فهو الذي يعيش بتحطيم كل ما هو لازم لبقائه. فهناك نسبة منعكسة يكاد يكون انعكاسها تاماً بين مستوى العيش في مختلف بلاد العالم ومنه اوربا، وبين زيادة عدد السكان.

وعلى الرغم من ذلك فان الطب يتدخل اليوم تدخلاً مهلكاً وذلك بابقائه على اكبر عدد من السكان وقد كان الرجل البدائي يستمتع بمزية من ابدع المزايا وهي النسبة العالية في الوفيات. وذلك للابقاء على انخفاض عدد السكان وكان يتبع ذلك امتداد ادوار النقاهة عند المرضى الذين لا يدركهم الموت.

فجاء الانقلاب الصحي الحديث فأنقذ من الموت ملايين من الناس. ثم تركهم ليرصدوا نفوسهم للحزن والبلوى وهذا الشقاء.

والتفكير الحديث يجب ان يكون اميل الى التطور منه الى الركود، والاكتفاء بان يخرج الفرد لا عليه، ولا له.

والتفكير الحديث يجب ان يميز بين الحقائق والرموز. اذ ان عدم التمييز بينهما له نتائج عملية جد خطيرة.

فالموازين التجارية التي تنبىء بالربح انما هي في حقيقتها رموز تخدع الناس وتضللهم فتجعلهم يظنون ان ما جمع من مال انما هو ثراء. ولكن الحقيقة التي لا يعرف الشك الطريق اليها هي ان ثروة الارض قد نفدت. وهذه الاعتبارات الاساسية قد طبقها «فوكت» فدرس على ضوئها قارات الدنيا كلها. مبتدئاً بأمريكا الشمالية. وجاءت دراسته المستفيضة مدعمة بالحجج والاسانيد.

ولم يتورع «فوكت» ان يترخص فيما يقتضيه واجب الادب نحو بني قومه. فهو ينالهم بالتجريس. والتسميع بهم. ذلك لانهم قد استنفدوا موارد البلاد. وهو يضرب الامثال على ذلك فيقول ان ٧٥ مليوناً من الثيران البرية قد ابيدت. ويقول ايضاً انه في السنوات الست والثلاثين (١٩٠٩ — ١٩٤٥) نقصت مساحة الغابات الطبيعية بمقدار ٤٤ بالمئة وان ٢٨٢ مليون فدان من الارض قد ابتلعها اليم ولم تكن الخسارة فيها خسارة ارض وحسب. بل قد شملت الخسارة خسارة ما كان يجنيه الناس منها من ماشية وزروع.

«والرجل الصناعي» هو الوهم الاكبر. ما دامت كلمة التصنيع تمشي جنباً الى جنب مع القضاء على الموارد الطبيعية.

فأين تبيع آخر الامر. ولمن تبيع تلك الممالك التي تم تصنيعها او تلك التي يراد تصنيعها: محصولاتها الصناعية؟

هذا سؤال لا يستطاع الجواب عنه. والاشياء التي تتخذ دليلاً على الحضارة كالسيارات. والحمامات. واجهزة الراديو. انما تدفع اثمانها على حساب قص الارض من اطرافها. وهذه الصورة التي رسمها الكاتب يصح ان تتخذ صورة للقارات الاخرى. فأمريكا الجنوبية يمكن ان تسمى ارضها «الارض التي على شفا جرف هار» ذلك لانها تسير بخطى متزايدة نحو افناء مواردها الطبيعية.

واوروبا التي يصح ان تسمى البلاد التي كلما انبت الزمان حرباً انبت قومها رجالا ليكونوا وقوداً لتلك الحروب هي على الرغم من الحروب وآثارها قد تزداد سكانها احد عشر مليوناً فيما بين عامي ١٩٣٦ و ١٩٤٦. ولكن رجال السياسة لم يقولوا كيف يمكن ان تحدث مرة اخرى تلك المعجزة: معجزة الارغفة والسمكات.

والديموقراطية التي تتعلمها الشعوب كشعب ايطاليا مثلا الذي يقول: «ان لم تصله المعونة من العم سام فانه مول وجهه شطر اي عم آخر».

مثل هذا الشعب قلما ينمو ويزدهر وغذاؤه الامية والجهل. فالحرية تبدو لا قيمة لها اذا جاع الناس وخويت بطونهم.

وقبل ان يتدخل الاقوام البيض في شئون آسيا كان عدد الهنود يقل عن المائة مليون. وكان عدد اليابانيين ٢٦ مليوناً. وكان عدد الروس (عام ١٨٠٠) ٣٩ مليوناً. وقد زادت هذه الاعداد فأصبحت على التوالي ٤٠٠ مليون. ٧٦ مليوناً و ٢٠٠ مليون.

وافريقيا تعاني — للاسباب ذاتها — سكرات الموت. فان سكانها يتزايدون على نظام المتوالية الهندسية. وذلك على الرغم من ان مواردها الطبيعية تنقص يوماً بعد يوم. هذا هو التشخيص الذي جاء به الدكتور فوكت فما هو العلاج الذي يصفه؟

انه يقول: ان الانسان قد اصبح في مقام لا يستطيع البقاء فيه ولا الدفاع عنه. وذلك لمخالفته — في نسق مطرد — لقوانين الطبيعة. ولكي يستعيد مكانته يجب عليه ان يجعل سلوكه وحياته مؤتلفين مع مقتضيات القوانين الطبيعية.

وهناك طريقان للوصول الى هذا الهدف. اولهما الابقاء على الموارد الطبيعية ثم تجديد تلك الموارد. وثانيهما، تحديد النسل. فمن واجب الجنس الانساني ان يمتنع عن الاكثار من النسل. ومن واجبه ان لا يحسب نفسه كالاسماك غير مسئولة عن صغارها. ومن واجبه ان يتخذ الوسائل المؤدية الى بلوغ تلك الغاية قبل فوات الاوان. فاذا لم نفعل ذلك فقدنا كل امل في بقاء الحضارة.

وليس احد من المعنيين بحضارتنا بقادر على ان يغفل عما قاله «فوكت» ودعمه بالاسانيد والحجج. اما النتائج التي وصل اليها فهي — بالطبع — قابلة للجدل. فان النصائح التي يقول بها فوكت قد تعمل بها الامم المسالمة والامم غير المتحضرة. ويكون في هذا الغرم كل الغرم على الامم الوادعة، المحبة للسلم.

وكلمات العلم وتقدم الصناعة والتصنيع واتباع المناهج العقلية ليست خيراً كلها. وليست شراً كلها. انما الخير والشر يجيئانها عن طريق التطبيق. فتقدم الصناعات الذي كان من آياته ما سماه الناس بالنهضات الصناعية في القرون الاخيرة. قام — في الاعم الاغلب — حتى هذه الساعة على اكتاف العلوم الطبيعية. وقد ادى الى حربين عالميتين كما ادى الى الازمة القائمة.

فهل من الممكن ان يجد الناس في حمى علم الاحياء. وفي رعاية المساواة الاجتماعية طريقاً يهديهم من ناحية الى الوصول الى مستوى لائق من العيش. ويحفظ من ناحية اخرى. بل ويعيد للفرد القيم الانسانية التي لا يجوز التضحية بها؟

القاهرة — مبارك ابراهيم

دراسات في الادب المهجري

بقلم عيسى ابراهيم الناعوري

شفيق المعلوف

ما ذكرت شفيق المعلوف مرة ، الا ذكرت معه مطلع احدى مراثيه لاخيه المرحوم فوزي ، وهو :

اهويت أبحث عنه في الترب — تاج تدحرج عن جبين ابي

فاردده باعجاب وحسرة : الاعجاب لانه في رأيي اوقع مطلع وقعت عليه في حياتي في مطلع الرثاء في الادب العربي ، وادلها على صدق اللوعة ، والحسرة ، على ذلك التاج النفيس الذي تدحرج عن جبين والد الشاعر ، فأهوى ليبحث عنه في التراب ، وهيهات ان يجده ، فقد غيبه التراب الى الابد — وودائع التراب لا ترد — وقضى على جماله وسناه.

في هذا البيت استطاع شفيق المعلوف ان يصور عمق لوعته ، وشدة جزعه على اخيه الراحل ، اصدق تصوير وادقه ، وان ينقل شعوره هذا الى قارئه بطريقة مؤثره جداً . وهذه مزية لا نجدها الا لدى الشاعر المطبوع على الشاعرية .

وشفيق المعلوف شاعر مطبوع ، ما في هذا ريب ، ويدلنا على ذلك ما له من نتاج شعري منشور في كتب خاصة ، او في الصحف . ولا غرابة ، فقد نشأ شفيق في بيئة تفوح بشذا الآداب وتنفح الشعر عابقاً . فهو ثاني ثلاثة اخوة شعراء ، لا نعرف بيتاً عربياً اجتمع فيه مثلهم ، واخواه الآخران هما : فوزي المعلوف ، ورياض المعلوف . والاول شاعر ملأ دنيا الضاد بالشعر العبقري ، والثاني شاعر تعرفه المحافل الادبية في الشرق والغرب ، بدواوينه الشعرية الطريفة ، بالعربية والفرنسية والانجليزية . واما ابوه فهو الاديب المؤرخ الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف ، شيخ المؤرخين العرب في العصر الحاضر . وخالاه ميشال وقيصر ايضاً شاعران مشهوران ، والاول منهما هو الذي انشأ « العصبة الاندلسية » في البرازيل . فهي كما نرى بيئة شعرية خالصة من كل اطرافها .

ولد شفيق في زحلة بلبنان سنة ١٩٠٥ ، وتثقف تحت رعاية ابيه العلامة ، واشتغل بالصحافة مدة . وقد سبقه اخواه اسكندر وفوزي الى الاغتراب ، ثم لحق بهما الى البرازيل حوالي سنة ١٩٢٧ حيث انصرف الى التجارة ، ولكنه استمر على الانتاج الادبي الذي كان قد بدأه في الوطن . فلما انشأ خاله ميشال « العصبة الاندلسية » انضم اليها ، واستمر على مناصرتها ورعايتها ، وهو اليوم رئيسها وممولها .

في سنة ١٩٢٦ كان قد ظهر لشفيق ، في لبنان ، ديوان شعري صغير ، عنوانه « الاحلام » هو باكورة انتاجه . وهذا الديوان يحتوي على قصيدة خيالية ذات ثلاثة فصول — او ثلاثة احلام — تتألف كلها من ستة وعشرين نشيداً ، في مئة وتسعة وثمانين بيتاً .

كان شفيق حينما نظم هذه الاناشيد ما يزال في اول مراحل الشباب . ولذلك ليس غريباً ان نقول انها كانت خيالات فتى لم ينضج بعد ، ولم تنضج افكاره وخيالاته ، غير انه قد كان فيها اشراق غير قليل من شاعرية تتقدم نحو السطوع .

لقد كانت ملأى بالتشاؤم والالم ، لانها كانت تعبيراً عن حيرة الشاعر في مستهل حياة الشباب . فقلبه مشبع بالمثل العليا التي تلقنها في الكتب ، وسمعها في عظات المؤدبين في البيت والمدرسة والكنيسة . وكا خياله غنياً بها ، ولكن الحياة تصدمه دائماً بحقائقها المرة القاسية ، وتثبت له بكل برهان اكيد ان المثل العليا اوهام في اخيلة الاطفال ، وسطور على صفحات الكتب — يكتبها في الغالب اناس لا يؤمنون بها — وليست سطوراً حقيقية ثابتة على صفحات الحياة . ولكم يجني اصطدام المثل العليا بحقائق الحياة على النفوس البضة فيبدل من سيرة اصحابها تبديلاً قد يؤدي الى نتائج سيئة ، او يصم حياتهم بالتجهم والالم المستمرين ، لانه يولد عندهم عقداً نفسية مؤلمة . ولذلك نرى في صلاة الشاعر قبل نهاية « الاحلام » في النشيد السادس والعشرين ! تعبيراً عن ألمه الصارخ من الحياة والوجود ، فهو يخاطب ربه قائلاً :

الهي ، سألتك تدمير هذا — الوجود وتحطيمه بيديك
سألتك خنق الشرور ، فهلا — خنقت الشرور على قدميك؟!
ألست ترى في الحياة جموعاً — تقرّح اعمالهم ناظريك ؟
فأفن ِ الوجود ، وخذهم اليك — والا فيا رب خذني اليك !

انها غضبة غلام يعتقد ان في استطاعته تبديل الكون ، وتغيير نواميس الحياة ، بحسب ارادته وطبقاً لمبادئه ومثله العليا ، فاذا لم يتمكن من ذلك ، فهو ينقم على الدنيا وما فيها ، ويريد هلاكها ، او . . . او هلاكه هو نفسه ان لم يكن ممكناً اهلاك الكون كله .

ثم ان الشاعر الشاب يريد ان يعرف كل شيء عن الحياة وعما وراء الحياة ولكنه لا يصل الى ما يريد . وهو اذ يرى نفسه ما يزال مدلجاً في ظلمات حيرته ، لا يفتأ يذكر الموت كثيراً في اناشيد يقطر منها الالم

الأسود، ويحاول ان يجد لنفسه عزاء في الموت لانه شيء لا بد منه.

وما اذكر القبر لو لم اجد فيه عرشاً توراثه من قرون

تبوأه في التراب جدودي … وسوف ابوأه بعد حين

فمملكتي قيد باع ، وحصني … صخور تصد المغيرين دوني

اما في المهجر فقد نظم شفيق قصيدة جديدة دعاها « عبقر » اطلق فيها العنان لخياله القوي ، وسكب فيها من روح الشاعر التي بدأت نضجها . وقد اشتهرت هذه القصيدة في الاوساط الادبية ، وبها تبدأ شهرة شفيق المعلوف الشعرية الحقيقية ، لانها عمل ادبي فني يتميز بكثير من الجمال والنضوج الفكري والخيالي .

ولسنا نحاول الآن ان نستعرض هذه القصيدة او نتعرض لها بالنقد، لان الشاعر قد عاد اليها منذ حين بالتنقيح والتهذيب ، فغير فيها وزاد عليها عدداً من الاناشيد ، واعدها للطبعة الثانية ، ولا نشك في انه قد استعان في ذاك - الى جانب رأيه الشخصي - بالآراء والملاحظات التي ابداها له النقاد بعد ظهور طبعتها الاولى . غير اننا نذكر ههنا ان الشاعر ، في هذه المطولة الشعرية ، قد اجال خياله في ديار الجن في عبقر ؛ فعاد يسرد في قصيدته ما اطلعه عليه شيطانه هناك من دنياوات تموج بالنار والعفاريت والامور المدهشة العجيبة . وقد ادى به ذلك الى ان يخلط بين عبقر - مدينة الجن - وبين الجحيم في بعض المواقع منها .

وفي هذه القصيدة نلمح كثيراً من آثار التمرد النفسي والتشاؤم التي لمسناها « في الاحلام » فما يزال الشاعر سيء الظن بالناس ، ناقماً عليهم ، كالذي يقوله في حديث العرافة الهائجة .

وددت يا غادر لو انني … اطلقت ثعباني لا ينثني

عنك فيرديك ، ولكنني

اخشى على الثعبان … من غدرك

في نابه السم كان … وصار في صدرك

فليس هذا الصل بالافعوان … بل انت يا انسان

فارجع الى وكرك

وكذلك نلمح كثيراً من النقمة على سنن الحياة، ونظم الكون الاكبر ؛ كالذي يصفه من « ثورة البغايا » في الجحيم .

مذ خلع الله علينا المقل … زودنا بنظرة ضائعه

وشهوة ملحة جائعه … وبشرة هفافة للقبل

أذن لنا بطاعة الله … وهو الذي في وسط العاصفه

زج بنا بالاضلع الراجفة … والجسد المستسلم الواهي

ثرنا عليه حينما سامنا … عسفاً ، فلم نصبر على عسفه

قد حشد اللذات قدامنا … وجيش العذاب من خلفه

افتى بأن نقوم في ربقنا … بجزية العهد الى ربه

هو الذي اذنب في خلقنا … وراح يجزينا على ذنبه

وهنا نعود من جديد الى مزية التصوير التي يجيدها الشاعر كثيراً، والى موسيقية التعبير التي يتميز بها، وهذه القصيدة في مجموعها ابرز دليل عليهما ؛ وقد رأينا الكثير من امثلتها فيما قدمناه منها، ونضيف الآن امثلة اخرى . فمن ذلك قول الشاعر في « عبقر » نفسها .

كأس اللمى الحمراء من صاغها … وردّ للزهور أصباغها

أكلما الموت رأى اكؤساً … ملآنة ، حاول افراغها ؟

والحب، هل حين انقضى عيده … ظل يدوي في الدجى عوده ؟

ام ماتت الطير ، فماتت على … مناقر الطير اغاريده ؟

وكذلك في « اغنية الجنية » من المطولة عينها .

ويحي ، من يشبع فيَّ النهم ؟

اكلما استلقت على معصمي

روح ، فقربت اليها فمي

قلصت ... فلم اقبل ولم

أضم الا عدماً في عدم ؟

ولنستمع اليه في قصيدة اخرى من غير المطولة ، وهي قصيدته التي بعنوان « ساعي البريد » . حيث يقول :

خلف النوافذ اجفان مشوقة … اليه ، تخفق من وجد وتسهيد

كم قبلة من فم العشاق يحملها … على يديه ، ويهديها الى الغيد

يا ساعياً بابتسامات توزعها … على الشفاه بلا من ولا تنكيد

كم وجه ام عجوز ان برزت لها … لم يبق من اثر فيه لتجعيد

كأن كل غلاف منك ملتحف … بابن الى صدر تلك الام مشدود

وهكذا نستطيع ان نلخص مزايا الطابع الشعري لدى شفيق المعلوف بقوة التصور، وجمال الصورة، وموسيقية التصوير ورشاقته .

رياض المعلوف

●

لم يكن من المنتظر ان يكون لرياض المعلوف فصل خاص من هذه الدراسات المهجرية ، فمكانه بين شعراء لبنان المقيمين ؛ لولا ان المصادفة المحضة شاءت له ان يعيش في المهجر ردحاً من الزمن على غير اختيار منه، وان ينضم الى رابطة ادباء العرب في البرازيل ، وهي « العصبة الاندلسية » التي انشأها خاله المرحوم ميشال المعلوف ، ويرأسها الآن اخوه شفيق المعلوف، ولولا ان هذه السنوات القلائل التي قضاها في المهجر مرغماً قد تركت في شعره اثراً يميزه عن شعره الذي ظهر قبل سفره الى اميركا في ديوانه الاول « الاوتار المتقطعة » .

اما المصادفة المحضة التي قضت بان ينضم رياض المعلوف الى شعراء المهجر الاميركي ، فهي انه قد غادر الشرق في عام ١٩٣٨ قاصداً الى باريس ونيويورك لاجل النزهة ، ولمشاهدة المعرض الذي اقيم في نيويورك اذ ذاك . وقد طالت سياحته قليلاً الى ان

ادركته الحرب فقطعت عليه سبيل العودة الى بلاده ، فاضطر الى السفر الى البرازيل حيث يقيم اخوانه الثلاثة : اسكندر وشفيق وادمون ، والى الاقامة بينهم ريثما تنجلي الغمة عن وجه العالم . وكان وصوله الى البرازيل في تشرين الاول من سنة ١٩٣٩ . وقد شاءت الصدفة ايضاً ان يطول امد الحرب فتطول معها اقامة رياض في اميركا الجنوبية، حيث عرفته صحفها وانديتها الادبية ، فانتخب عضواً في المجمع العلمي البرازيلي في ريو دي جانيرو، وفي نادي القلم الدولي (Pen Club) وحيث نشر بعض المؤلفات بالفرنسية والعربية ، وضمنها بعض الرسوم من قلمه ايضاً ، الى جانب رسوم اخرى لرسامين غربيين .

وما دامت المصادفة قد شاءت فاصبح رياض احد شعراء المهجر ، فلا بد له اذن من دراسة خاصة مع شعراء المهجر . ففي الواقع ان بين شعره المطبوع في المهجر ، وشعره المطبوع في الوطن فرقاً ملموحاً، لا شك في انه من تأثير اختلاف البيئة ، كما هو نتيجة لتطور الشاعرية واستمرار نموها ونضوجها .

وها انا الآن ، وانا اتأهب لكتابة هذا الفصل عن شعر رياض المعلوف ، امامي من مؤلفاته ثلاثة : احدها مطبوع في مصر عام ١٩٣٣ ، وهو « الاوتار المتقطعة »، والثاني مطبوع في البرازيل عام ١٩٤٥ ، وهو « خيالات » ، واما الثالث فمترجم عن الفرنسية الى الانكليزية، ومطبوع في الارجنتين عام ١٩٤٧، وعنوانه «غيوم» وهذة الدواوين كلها تدل على ذوق فني لطيف ، وعناية بالادب والفن كبيرة .

اما الديوان الاول المطبوع في مصر ، فهو باكورة انتاج رياض وهو لذلك يدل على عدم نضوج الشاعرية عنده ، كما يدل على ان رياضاً كان اذ ذاك يحاول ان يجرى في شعره على نهج اخيه المرحوم فوزي ، الذي كانت شهرته الادبية تملأ دنيا الضاد ، ففي الديوان روح فوزي المتشائمة ، ولكن ليس فيه شعر فوزي المتين الناصع ، وحبكته الجميلة ، وفيه اشياء من ألم فوزي ، ولكن ليس فيه لطف خياله، وحرارة دموعه، وفيه محاولة لتنويع الشعر وزركشته، ولكنها غير مكتملة لعناصر الحيوية ، على الرغم من ترقرق الكثير من ابياتها ، ولطف موسيقاه .

ولعل اجمل ما في هذا الديوان ، البيت التالي ، وهو :

وغناء الصداح ما هو الا　　زفرة من حشاشة الصداح

ثم البيت الاخير من الديوان ، وهو .

رغم دهري، ورغم تقطيع اوتاري　　سأشدو ، ورغم حطم الرباب

على انه لا بد لنا من الاشارة الى تقدمة الديوان ، فعباراتها وابياتها تدل على احساس لطيف ، وحنان كثير ، وهي « الى التي حملت معي صليب العذاب في طريق الحياة الوعرة بصبر وتضحية ، اقدم اوتاري والحاني » ، ثم يضيف اليها الابيات التالية .

ولدتني وسقتني دمها　　والحياة
فشفاهي ليس تنسيني اسمها　　للممات
حفرت عيني بدمعي رسمها　　طي قلبي
تلك امي ؟

اما ديوانه الآخر « خيالات » المطبوع في البرازيل عام ١٩٤٥، فهو ادل من الاول على روح رياض ، وعلى طابعه الادبي ، فقد تحرر فيه من محاولة التأثر بطرائق سواه ، وانطلق على سجيته ، ولكنه حاول ان يجعل لشعره طابعاً غربي الروح واللهجة ، وان يكن عربي الالفاظ . لذلك لا غرابة في ان يكون تأثرنا واعجابنا بما نقرأ له بلغات الغرب ، اكثر من تأثرنا واعجابنا بشعره العربي ، فهو في شعره اقدر على مسايرة روح الغرب ، واقرب منه على المحافظة على روح الشرق وطابعه .

فشعر رياض من النوع الوجداني الغنائي في الغالب، ومقطوعاته يعتمد فيها القصر واللمسات الخاطفة ، ويظهر ان العروض العربية تعسر عليه التعبير بسرعة واقتضاب كما يشاء . اما بلغات الغرب ، وبطريقة الشعر المرسل ، فهو يصل الى غايته بأيسر سبيل، واجمل بيان . خذ مثلاً قصيدته « الى عازفة » من ديوانه « خيالات » ، حيث يخاطب العازفة بقوله . .

لعبت اناملك الرشيقة بالقلوب وبالبيانه
اطرافها حمر كأن بكل انملة جمانه
فاستنطقت لسن البيانة باللباقة واللبانة
هي في تنقلها الطروب كطائر غرد ببانه
ويحلقك الشادي هزار منشد دون استكانه

انك لن تطمئن الى سلامة التعبير وسلاسته وجماله ههنا، كما تطمئن اليه وتستعذبه في عبارته الانكليزية ، من كتابه « غيوم » في قطعة قريبة من معنى هذه القصيدة فهناك يقول .

One could have felt
That there dwelt
Ten nightingales
In the ten fingers
Of the orchestra conductor

وترجمتها « ان المرء ليشعر بأن عشرة بلابل تقيم في اصابع قائد الاوركسترا العشرة » . وهو معنى غاية في اللطف والابداع، يدل على حس مرهف، بارع الالتفاتة . وكما تستعذب هذه اللمسة الناعمة، وتعجب بهذه الالتفاتة البارعة ، تستعذب كذلك كثيراً من

امثالها في ديوان «غيوم» في لغته الانكليزية . خذ مثلاً القطعة التالية :

In the veins
Of these violin strings
Flows, quivers and sings
The blood of innocent
Nightingales
Martyrs of their love's lament

التي ترجمها بما يلي « في شرايين اوتار الكمنجة هذه ، تسيل وترتعش وتغني دماء عنادل بريئة ، شهيدة التفجع على حبها » . وكذلك الخاطرة التالية عن اشجار الخريف .

All these denuded trees
Are
The harem
Of the autumn

وترجمتها « كل هذه الاشجار العرايا ، هن حريم الخريف » :

From a grain of sand
You can understand
All the desert's mysteries

وترجمتها : « من حبة الرمل ، يمكنك ان تدرك كل اسرار الصحراء » .

وكما نجد الشاعر بارعاً في خطراته ، ناعماً في لمساته المريعة في هذا الديوان ، كذلك نجد عنده كثيراً من التشابيه والتعابير اللطيفة العذبة . كقوله في وصف البحر :

Is not
The ocean
The fluid mirror
Of the horizon ?

ومعناه : « اليس المحيط هو مرآة الافق السائلة ؟ » وفي وصف الظل :

O ... Shadow
Darkness visible
Charcoal that the sun
Has not yet
Consumed
Dark purple wine
Of the night
Spumed
In the cup of day !...

ومعناه : « ايها الظل ، ايها الظلام الشفاف ، ويا ايها الفحم الذي لم تلتهمه الشمس بعد ، ويا نبيذ الليالي الارجواني الداكن ، المسكوب في قدح النهار » .

اما الصفة الغالبة على شعر رياض ، فهي انه عاطفي غنائي ، في الغالب ، كما قدمنا ، فللحب فيه المكانة الاولى ، والغزل فيه يكاد لا يتقيد بحدود ، فقد يصل احياناً الى شيء من الاباحية ، كما في قصائده التالية : « عاصفة الحب » و« من ذكريات باريس » و« ليلة الاحد » ، و« ليالي المرافع » ، وغيرها من ديوانه « خيالات » ، وعدد من قصائد ديوانه « غيوم » . ونحن لا نتوقف عند هذه الناحية من الشعر ، لان لنا رأياً في شعر الحب لا يرضي اصحاب هذا النوع من الكلام المنظوم ، الذي يراد له ان يكون فناً من فنون الشعر وهو في رأينا قد اقحم اقحاماً على الادب والفن والشعر . لذلك سنمر عنه لننظر في النواحي الاخرى من شعر رياض المعلوف في في ديوانه «خيالات» . واود ههنا ان اذكر ان فيه عدداً من القصائد الجياد ، التي جمعت بين جمال الخيال ، وحسن التعبير ، وصدق الاحساس . واول هذه القصائد واجودها شاعرية هي قصيدة « المصدور » لانها احسنها تصويراً ، واعمقها تأثيراً ، وهي كذلك اطوعها على قلم الشاعر نظماً . وفيها يقول الشاعر في وصف المصدور .

هو يمشي والموت في خطواته ... عاثر الحظ بانتظار مماته
شاحباً يائساً ، حزيناً كئيباً ... واحتضار السرور في بسماته
وبريد الكلام والداء يأبى ... ناثرا صدره على كلماته
كلما هاج صدره بسعال ... اطعم الموت لقمة من رفاته
رئة كالقفير ، والنحل فيها ... مرض ناهش خلايا حياته

ثم تأتي قصيدته بعنوان « الذكرى العاشرة » وهي دمعة يذرفها على قبر اخيه المرحوم فوزي في الذكرى العاشرة لوفاته ، وفيها حزن اصيل ، ولوعة صادقة ، ولا سيما في قوله :

لبنان يأمل ان نعود ... اليه من بعد النزوح
اكفاك هذي الحفرة السوداء يا نسر الطموح ؟ !

وفي الديوان قصيدتان عن لبنان ، اوحى بهما الى الشاعر طيف الوطن النائي ، وهما من شعر الحنين الجميل ، احداهما بعنوان « لبنان » والاخرى بعنوان « هل يا ترى نعود » وفي هذه الاخيرة يقول :

كم سحت في المعمور ... ما غرني منظر
فبلدي المهجور ... وكوخي الاخضر
احلى من القصور ... والذهب الاصفر
هل يا ترى نعود
اليك يا لبنان ؟!

هذا هو رياض المعلوف كما رأيته في ما لدي من دواوينه . واود قبل ان اختم هذا الحديث ان اذكر ان له غير هذه عدداً آخر من المؤلفات باللغات الغربية . فله كتاب بعنوان « تلاوين » نشره في باريس سنة ١٩٣٨ ، وقصائد بالفرنسية طبعت في الارجنتين بعنوان « حبات رمال » و« الفراشات البيضاء » . كما اود ان اذكر ان ديوانه « غيوم » — وهو مجموعة خطرات قصيرة متنوعة — كان قد وضعه في الاصل بالفرنسية ونشره في البرازيل سنة ١٩٤٣ ثم ترجم الى الانكليزية ج . ت . وسدلر . اما في العربية فلم يصدر له حتى الآن سوى « الاوتار المتقطعة » و« خيالات » ، وقد اعتمدنا عليها في هذه الالمامة العابرة .

شرقي الاردن — عيسى ابرهيم الناعوري

نظرات في نقد الفن

بقلم نجم الدين حمودي

☆



ان عبارة نقد الفن تعني بصورة عـامة عملية فحص الروائع الفنية ودراستهـا دراسة دقيقة للتمييز بين الحسن والردي، ، بين الابداع والتقليد وبين البدع الضحلة التي لا يمضي على وجودها مدة حتى تبدأ بالجفاف وبين اعماق العبقرية التي لا تجف ولا تنضب .

تلك هي غاية نقد الفن وهي غاية سامية ترمي الى انصاف اصحاب النبوغ والمهارة واظهار مواطن الجمال في روائعهم ، كما انه في الوقت ذاته يصبح النقد سيفاً يسلط على رقاب الذين يحشرون انفسهم مع الفنانين وهم ابعد ما يكونون عنهم .

وفي مسألة التمييز بين الحسن والردي، يعترض الناقد البريطاني « كلايف بل » صاحب كتاب « تاريخ الفن » حيث يقول « يميز بعض الكتاب بين الفعاليات الفنية فيجعلون منها الحسن والردي، في حين ان هناك حقيقة لا مرد لها وهي ان الشي، اما ان يكون فناً او لا شي، ، وحيثما يوجد الفن يوجد الجمال وحيثما يوجد الجمال ينتفي وجود القبح والرداءة[1] » .

المهارة في نقد الفن

ان تعذر ايجاد مقاييس عامة لمعرفة المدى الذى تبلغه الروائع الفنية من الكمال هو الذي جعل مسألة نقـد الفن من الامور الصعبة . ويطلعنا الاديب الفرنسي اندريه جيد على رأيه في هذا الخصوص فيقول « ان نقد الفن من اخطر انواع الكتابة ولم يُجد في هذا الباب الا النزر القليل من الكتاب ، ومهما اتخذ الناقد من الحيطة والحذر فلا بد ان تجد له زلة هنا وهفوة هناك[2] » ومن الممكن حصر الاسباب التي تجعل النجاح في نقد الفن عسيراً في امرين . ١ – عدم وجود نماذج مثالية «Standardized models» تقاس بموجبها القطع الفنية .

٢ – اختلاف الاذواق وتباين النزعات في الحكم على الاعمال الفنية بالاضافة الى صعوبة وجود التجرد التام . ومع هذا فان نقد الفن يجد ذاته فن قائم بنفسه ويلتف حوله كثير من الاختصاصيين الماهرين الذين لم يتوصلوا الى هذا المستوى العالي من الاختصاص الا بعد ان مارسوا بانفسهم تلك الفنون لاعوام كثيرة .

ومن الجدير بالذكر ان النقـاد على الرغم من سعة اطلاعهم وسمو ذوقهم كثيراً ما يصدرون حكمهم على قطع فنية عظيمة دون ان يعيروهـا الوقت الكافي فيكون حكمهم بالنتيجة غير دقيق . وان هذه النتيجة المؤسفة هي التي دعت الناقد البريطاني « كلايف بل » ان يكتب مقالا في مجلة الفنون الانكليزية حول هذا الموضوع بعنوان : « مهلاً ايها النقاد Festina Lent[3] » يحلل فيه الاخطاء الجسيمة التي يرتكبها النقاد ويعزز كلامه بكثير من الامثلة ، ويتخلص رأيه في ان نقاد الفن على الرغم من ادعائهم بعدم التسرع في الحكم على القطع الفنية كثيراً ما يقترفون اخطاء كبيرة يجورون فيها على الفنـانين غير مدركين ان بعض القطع الفنية يمكن تذوقها من اول التفاتة يوجهها الناقد نحوها في حين ان البعض الآخر يستحيل ادراك مواطن الجمال فيهـا والاحاطة بالافكار التي اوحت للفنان ان يجعل قطعته بهذه الهيئة ويختار لها تلك الالوان والخطوط ما لم يجل هذا الناقد النظر ويتعمق في التحليل .

أنواع النقاد

يحتل النقاد في البلدان الراقية مكاناً ممتازاً نظراً للاهمية البالغة التي يعطيها لهم هواة الفن ورواد المعارض الفنية الذين يجعلون قيمة المعروضات والالواح الفنية منوطة بآراء النقاد

(١) The Arts (Number 2) editad by D. S. Tayler. Published L. Humphries - London.

(٢) نفس المصدر André Gide : The Lesson of Poussin

(٣) نفس المصدر Clive Bell - Gently Hussying

ويصادف بعض الاحيان ان مقالا يحرره احد النقاد يكفي لرفع قيمة احد الفنانين الى درجة لم يتصورها من قبل . وان الكاتب والناقد البريطاني « ماك كول » صاحب كتاب « ما هو الفن » قد اولى عنايته لهذا الموضوع وافرد له فصلاً في كتابه حلل فيه شخصيات النقاد وقسمهم الى اقسام[٤] . وفيما يلي خلاصة لآرائه بهذا الشأن .

يوجد نوعان من نقاد الفن ، النوع الاول ويمكننا ان نطلق عليه كلمة « مراسلين » وهؤلاء لا همّ لهم سوى حشو الصحف والمجلات بكلمات فارغة معسولة عن المعارض التي يحضرونها نيابة عن الصحف والمجلات التي يراسلونها ومعظم هؤلاء يفتقرون الى المعرفة التي تؤهلهم لنقد القطع الفنية . فاذا ما عرضت عليهم قطع ترجع في طابعها الى الفن الكلاسيكي القديم قالوا عنها : لقد سبق واصدر الحكم على الفن القديم وان جادلتهم في معروضات الفن المعاصر اجابوك بقول اما ينطوي على عدم الاكتراث او يمعن في الاطراء والمديح .

وفي الحقيقة ان الفنانين ارفع من ان يتخذوا كبضاعة مبتذلة حتى يكال لهم المديح او الذم من قبل النقاد حسبما تمليه عليهم اذواقهم واهواؤهم . اما النوع الثاني من النقاد فمنهم من يملك المعرفة الكافية والاطلاع الواسع في شؤون الفن الى درجة يحق لهم ولوج الموضوع بحرية تامة . الا انهم الى جانب تلك المؤهلات مندفعون بعامل الانحياز لهذا الجانب او لذاك . ولهذا فان الفنانين يمقتونهم مقتاً شديداً لافتقارهم الى النزاهة وان غالبيتهم يختارون ما طاب لهم من القطع ويجعلونها هدفاً لصب معلوماتهم كأنه لا فرق بين الروائع الفنية والمواد الاولية التافهة .

عمر الناقد واثره

ان عامل الزمن يثبت نفسه في موضوع نقد الفن بصورة جلية لا تشوبها شائبة ؛ فالانسان - كما هو معلوم — يتطور بتقادم الزمن ويرافق تطوره الجسمي تطور اكثر اهمية واثراً في حياته وذلك التطور هو الذي يجري على افكاره وعقليته وميوله . فالتجارب الحية التي تصادفه تجعله يحور من افكاره التي اكتسبها خلال حياته فيبدلها تبعاً لنوع الشخصية التي استقر عليها بعد تجاربه الكثيرة وتفكيره المتواصل في الحياة وقيمتها المختلفة .

فالناقد حينما يكون شاباً في مقتبل العمر لا يتوانى عن اعتبار كل حركة فنية حديثة غاية مقدسة يجب المحافظة عليها ولا يقف تحمسه عند هذا الحد بل يتعداه الى اعتبار كل فرد يقتفي اثر الاسلاف ويسير على اساليبهم عدواً لدوداً ورجعياً يجب القضاء عليه .

وفي الحقيقة ان هذه الظاهرة لا تخرج عن كونها من الحماس الذي يرافق الشباب ويسوقهم نحو التجدد في كل شيء بغض النظر عن ماهية ذلك التجدد ان كانت متجهة للاحسن ام للاسوأ . وما ان تمضي على هذا الشاب الناقد بضع سنين يكتسب خلالها نضوحاً ورزانة تدعانه ان يميل الى الاتزان وعدم التسرع وحينئذ يشعر بان هناك اسباباً تدعو الى التوفيق بين النزوع الى التجدد والمحافظة على القديم .

قاعدتان مهمتان

يضع بعض الكتاب قاعدتين اساسيتين في نقد الفن ويؤكدون ضرورة مراعاتهما عند القيام بمهمة النقد . وهاتان القاعدتان هما اولا : وحدة التاريخ البشري والحضارة البشرية . ثانياً : قصور الوسط الفني عن بلوغ الكمال ، اذ لكل وسط (Medium) صفاته الطبيعية التي لا يمكنه ان يتعداها . ومثل على ذلك النحات الذي يتخذ من الخشب والصخر وسطاً لبروز عبقريته في نحت جسم جميل جذاب فتراه يقف مكتوف الايدي اذا ما اراد ان يضع في تمثاله تلك الصفات التي تتميز بها الاجسام الحية وذلك لان للخشب كما للصخر صفات طبيعية يعجز الفنان مهما اوتي من مهارة ومقدرة ان يغض النظر عن وجودها . وكذلك الحال مع الالحان الموسيقية فهي لا تخرج عن كونها اصوات وانغام جميلة مهما اراد الموسيقي ان يجعل منها تقليداً لبعض الظواهر الطبيعية مثل العاصفة وخرير المياه وغير ذلك .

اما ما يخص القاعدة الاولى ـ وحدة الحضارة البشرية ـ فهو اذا اردنا ان نبدأ عملنا في نقد بعض القطع التي تعود لاحد الفنانين علينا اولا ان نضعه في المحل الذي يحتله من تلك الحلقات المتصلة التي يتكون من مجموعها تاريخ البشر والحضارة البشرية دون ان تطغى علينا روائعه فتحجب عنا ما قدمه من قبله اجيال الفنانين الذين اغدقوا عليه من ملكاتهم الفنية ما سهل عليه مهمة النبوغ ومهد له سبيل المهارة .

نعم ، لا ينكر ان هناك بعض الفنانين ممن استطاعوا بما يتمتعون به من مواهب ان يأتوا بضروب من الخلق والابداع لم تسبق اليه مهارة فنان الا ان ذلك مهما بلغ من الرقي فلا بد ان جذوره تمتد بعيداً في الماضي . ومثل على ذلك ما قام به موسيقارو القرن الثامن عشر من الاعمال العظيمة التي يرجع الفضل اليها في تمهيد السبيل للتطور الذي بلغته الموسيقى ، كما ان هؤلاء قد اظهروا من الحذق والمهارة في عزف الالحان البسيطة ما جعلهم يحدثون اتجاهات

---

(٤) D. S. Mac Col - What is Art - Pelican Books, 1940 .PP. 270 - 271

نجوى

●

وعلى الرابيــة الحدباء
وقفت
ومددت يــدي الى الهواء
ألملم . . .
أعانق البخور المتصاعد
من مغاور الانبياء . . .
آبت راحتاي اليّ
مثقلة بالرحيق الشفيف
يحنو على قلبي الصادي
وهناك يسكن بحيرة . . .
وأنا نشوى على شواطئها
وزورقي هيمان في عرضهــا
واحلامي تجدّف
وآلامي تنسج شباكاً . .
والشحارير تودع المساء

ألحان شجية . . .
والشمس خجلى
وشاح الغروب أمواج على عينيها
تسعى وراء التلال . . .
وأما أنا ففي الوادي
أنين الجداول الســاقية
وفوق الروابي
ناي الارز . . .
وعلى أفنان الزيتون الوقور
نغم الشحارير المتأرجحة . . .
وفي الفضاء العاري
تمتمات الاجراس الساجدة . . .
فأهيم في اعماق الجبال
لأتدفق شلالا
نشيد الازل . . .

وأسرح في السهول
اختلاج ظلال الشجر
اطيافاً سامقة . . .
وازحف على الصخور
همسات العيون
آهات عبر بحيرتي . . .
جدف بعيداً يا زورقي
لن أعود . . .
جدف بعيداً
حطمت شواطىء بحيرتي
واحرقت شراعي
لاني . . . لن اعود . . .
سأبقى في الغابات
شرودا . . .

ثريا ملحس

جديدة في الموسيقى ، تلك الاتجاهات التي اصبحت مألوفة لدى عامة الناس الى درجة جعلتهم يتقلبون بصدر رحب روائع بتهوفن وسمفونياته . ولا شك في ان تذوق الناس لبيتهوفن يعتمد على نبوغه وعبقريته بقدر ما يعتمد عــلى الدور الذي لعبه من سبقه من الموسيقيين الذين هذبوا اذواق الناس وجعلوهم يقدرون ويتذوقون الموسيقى الراقية وان هذا المثل بتغيير الوسط الفني ينطبق على كافة انواع الفعاليات الفنية .

ولهذا فمن الواجب على الناقد ان لا يتسرع في الحكم على اصالة احد الفنانين من مجرد النظر الى قطعة توحي له بوجود هذه الصفة ، ما لم يتحقق من عدم وجود ما يماثلها في روائع الاقدمين ،

ومن الجدير بالذكر ان التأكيد في عصرنا هذا على الاصالة في الفن هو المسؤول عن كثير من التدني وكثير من الامراض التي انتابته لان البعض منهم يندفع وراء هذه الغــاية الى درجة تجعلهم لا يكترثون بأبسط قواعد الذوق السليم مع العلم ان انفراد الفنان بشخصية خاصة تتميز عن غيرهــا لا يحصل عن طريق الصدفة او بواسطة نبذ التقــاليد والشذوذ عن المألوف ، لا سيما وان عظماء الفنانين لم يبلغوا الدرجة التي ارتقوا اليها من النبوغ والعبقرية الا بعد ان الموا بروائع الاقدمين واحاطوا بكافة اساليبهم .

بغداد — نجم الدين حمودي

موت متوقع

لارنست همنغواي

ترجمها عن الانكليزية

وليم بي منيربوس

ليسانسيه في الفلسفة

جاء الى الغرفة ليغلق نوافذها ، وكنا لا نزال في فراشنا . وكان يبدو عليه انه مريض ، اطراف مرتعدة ، ووجه شاحب ، وخطو متقارب .

— ماذا بك يا سكاتز ؟ — برأسي صداع .

— اذن يحسن ان ترقد في فراشك . — كلا ، انا معافى .

— قلت لك اذهب الى الفراش ، وسأراك فيه بعد ارتداء ملابسي .

فرغت من ارتداء ملابسي ، ونزلت الى القاعة فوجدته في ملابسه جالساً بجوار النار بادياً عليه المرض والاعياء . فقدرت انه مصاب بحمى « الانفلونزا » وكانت سنه لا تتجاوز التاسعة .

قلت له : اصعد الى مخدعك ، فانت مريض .

فاجابني : ولكني لا اشكو ألماً .

ضغطت عليه حتى رضخ لامري وصعد الى مخدعه ، واستدعيت الطبيب . جاء الطبيب وقاس درجة حرارته وقال انها درجتان بعد المائة وترك ادوية ثلاث مع ارشادات لتعاطيها ، دواء مخفض للحرارة ، وآخر مطهر ، والثالث للتغلب على الحموضة لان جراثيم الانفلونزا — كما يقول — لا تعيش الا في الحموضة . وكأنه يعرف كل شيء عن « الانفلونزا » .

قال الطبيب انه ليس ثمت ما يدعو الى القلق طالما لم ترد درجة حرارة الصبي عن الرابعة بعد المائة . فهناك وباء خفيف منتشر ، وليس من خطر اذا وقيت الرئة وابعدنا عنها مضاعفات المرض .

وبعد ان ودعت الطبيب عند الباب الخارجي عدت الى مخدع الصبي المريض ودونت درجة حرارته ، وموعد اعطائه الادوية المختلفة ، وقلت له :

— هل تريدني ان اقرأ لك ؟

— كما تشاء .

قال ذلك في ارتخاء وصوت متكسر . رقد مشرد ذهنه كأنه لا يعنيه من الامر شيء . فنظرت اليه فوجدت وجهه زاد شحوباً ، وقد تناثرت أسفل عينيه بقع داكنة . وبدا لي جلياً انه فقد الصلة بما يدور حوله ، او على الاقل فقد الاهتمام بما يدور حوله .

قرأت له من كتاب « القرصان » بصوت مسموع ، ولكني تبينت — بعد قليل — انه لا يتتبع ما اقرأ فسألته . — كيف انت الآن ؟ — لا بأس بي .

جلست على مؤخرة الفراش ، واخذت اقرأ لنفسي حتى يحين موعد اعطائه الدواء الثاني وقد توقعت نومه ، وكان يبدو لي ان هذا امر طبيعي ولكني وجدته ينظر الى مؤخرة الفراش وقد نمت نظراته على الوحشة والاستغراب .

— لماذا لا تنام ؟ وسأوقظك عندما يحين وقت اخذ الدواء .

— أفضل ان اظل مستيقظاً .

وتريث برهة ثم قال : أبي ، انت غير مازم ان تبقى معي ، وقد يؤذيك الانتظار او يعوقك عن اعمالك ، اوعلى الاقل قد يضجرك .

— لا شيء من هذا القبيل ، فهون عليك .

— كلا ، سيكون الامر هكذا بعد قليل .

ادهشني قوله هذا ، وحسبته فقد السيطرة على وعيه بعض الشيء .

اعطيته الدواء الثاني في الحادية عشرة ، وانصرفت تاركاً اياه لفترة من الوقت .

وكان اليوم مشرقاً بارداً ، والجليد يغطي كل شيء ، الارض العراء ، وسطوح المنازل ، والاشجار فأغراني هذا الطقس الجميل بالخروج للصيد . فاصطحبت الكلب الارلندي الصغير وخرجت لجولة قصيرة .

اخذنا الطريق المفضي الى النبع المتجمد ، وكان السير فيه خطر لزلاقة سطحه فتزحلق الكلب اكثر من مرة ، ووقعت على الارض مرتين . وبعد قليل لمحت سربين من الطيور فأطلقت بندقيتي ، فقتلت طيرين ، وكان علينا ان نعود مبكرين ، والطيور تطير ملء اجنحتها ، فكنا بين أمرين : العدو السريع للحاق بها والتمكن من اصابتها ، وبين التثبت في السير على الجليد الزلق . فكانت رياضة لذيذة مع اني اخطأت الهدف مراراً ، ولكني عدت مسروراً موفورا ، وكان سيري وثباً ينتفض كل عرق في بالحياة القوية .

عدت الى البيت ، وقيل لي : ان الصبي يأبى ان يدخل عليه احد ، فقصدت غرفته وطرقت الباب فجاءني صوته متخاذلا كأنه صدى اصوت بعيد ، وفهمت منه انه يرفض دخولي . ففتحت الباب ودخلت فوجدته على الحال الذي تركته بها ، محدقاً في مؤخرة الفراش .



قست درجة حرارته فسألني في لهفة : كم هي ؟
— درجتان واربعة اعشار الدرجة بعد المائة .
قال — كانت درجتين بعد المائة .
— من قال هذا ؟ — الطبيب ، الم يقل هذا ؟
— بلى ، ولكن ليس في هذا ما ينبىء بسوء ، وليس ثمت ما يدعو الى القلق . — است قلقاً ، ولكن افكاري تذهب كل مذهب .
— لا تفكر ، ودع الامور تجري في أعنتها ، ولا يهولنك الامر ، انها انفلونزا .
— اجل ! — قال هذا ، وكان يبدو جلياً انه يخفي امراً في اعماقه ، وقد عكس وجهه وصوته تأثير هذا الامر .
— خذ هذا الدواء مع قليل من الماء .
— هل تحسبه فقيراً ؟ — ما في ذلك ريب .
جلست واخذت اقرأ في كتاب «القرصان» في صوت مسموع ، ولكني وجدت انه غير منتبه لما اقرأ . فامسكت عن القراءة ، والقيت الكتاب جانباً ، وصممت على ان انتزع منه سره واعرف حقيقة امره ، فسألته . — ماذا دهاك يا بني ؟ — كم تبقى لاموت .
— تموت ! لن تموت ، ماذا دهاك ؟ قل .
— أجل ، سأموت ، فقد سمعتك تقول ثلاث درجات بعد المائة .
— ولكن لا يموت الانسان اذا ارتفعت درجة حرارته الى هذا المقدار ، دعك من هذه الحماقة والرعونة .
— ولكني اعرف انه اذا وصلت درجة حرارة الانسان الى هذا المقدار ، فهو مقضي عليه لا محالة ، فقد اخبرني صبي فرنسي ان الانسان لا يعيش اذا زادت درجة حرارته عن الاربعة والاربعين . وتقول اني لن اموت ؟
كان متوقعاً الموت اليوم كله ، منذ ان اخبره الطبيب عن درجة حرارته . فصحت به : يا بني المسكين ، لن تموت ، فهذا مقياس حرارة يختلف عن المقياس المعتمد عندنا ، فثمت مقياسان لدرجة الحرارة ، مثل الاميال والكيلومترات . هذا القياس الانجليزي الدرجة السوية فيه ثمان وتسعون ، وذلك فرنسي درجة السوية سبع وثلاثون . — هل انت واثق مما تقول ؟
— كل الثقة ، فمثل ذلك مثل الاميال والكيلومترات . — آه ! ارتخت نظرته الى مؤخرة الفراش تدريجياً ، وارتخت سيطرته على نفسه آخر الامر . وفي اليوم التالي اخذ منه المرض ، وصارت تثيره الاشياء التافهة .

القاهرة — وليم بني منقريوس

الاديب

☆

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر كانون الثاني (يناير)
تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ٦ دولارات ونصف
في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ٥٠ ريالا

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى
في الخارج : ١٦ جنيهاً مصرياً او استرلينياً او ٦٠ دولاراً كحد اعلى

☆

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

•

للاعلان تراجع ادارة المجلة

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تلفون الادارة : ٤٧ — ٩٢ Direct. : 92 - 47 Tél.
المنزل : ٣٧ — ٤٨ Dcle. : 48 - 37

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت — لبنان

مدارس بيت المقدس ومعاهدها

في العهد الفاطمي ٢٩٦ هـ ـ ٩٠٨ م ٥٦٧ هـ ـ ١١٧١ م

بقلم احمد سامح الخالدي
عميد الكلية العربية بالقدس

ننتقل الآن* الى العصر الفاطمي فنقول من المعلوم ان الفاطميين استولوا على فلسطين وسوريا سنة ٣٦٠هـ ـ ٩٧٠ م وقد تركوا لنا في بيت المقدس دار علم وبيمارستان ومدرسة .

كلمة عن دور العلم في الاسلام

ان محبة الكتب والحرص عليها والتنافس في اقتنائها والتفنن في تجليدها وزخرفتها ، وبذل الكثير من المال والجهد في سبيلها قديم في الاسلام ، فقد اسس خالد بن يزيد بن معاوية مكتبة ، كما اسس الرشيد والمأمون دار حكمة او خزانة حكمة او بيت حكمة* في بغداد . وقد جاء في ابن خلكان ان يعقوب بن كلس الوزير الفاطمي كان يوزع الف دينار على العلماء كل شهر (ج٢ ـ ٣٢) وقد قام الحاكم بامر الله الفاطمي فأسس دار الحكمة او دار العلم في القاهرة سنة ٣٩٥هـ ـ ١٠٠٤م في القسم الشمالي من قصره . ومما لا ريب فيه انه كان لدار العلم هذه فروع كما يستدل من رواية المقريزي (الخطط ٤ ـ ص ٢٢٦) و« كان لداعي الدعاة نواب في سائر البلاد يجتمعون في مكان يقال له دار العلم» .

ودور العلم هذه معاهد علمية ، اشبه بالاندية الثقافية او الاكاديميات وهي اكثر من دور كتب ، وهذا ابن كثير يعتبر دار العلم مدرسة ، ولرأيه نصيب كبير من الصحة . وكانت مراكز تبث الثقافة وتلقى فيها المحاضرات ، وتنشر منها العلوم ، وترتب فيها المناظرات والمساجلات بين العلماء ، والادباء والفقهاء ، وقد انتشرت دور العلم هذه في القرن الرابع الهجري ـ العاشر ميلادي ـ في العراق وايران ثم اقتبسها الفاطميون وعمموها في مصر والشام . وجعلوها مراكز هامة لبث الثقافة الدينية على المذهب الشيعي كما شجعوا فيها دراسة العلوم ونشروا منها الدعوة الشيعية .

وقد جاء في كتاب الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري لمتز ذكر عدد منها تأسس في هذا القرن ولعل اشهرها دار العلم الفاطمية في القاهرة .

فمن الذين اسسوا دور العلم في العراق ونجد ايران الفقيه الموصلي جعفر بن محمد بن حمدان ٣٢٣ هـ ـ ٩٣٥ م فقد انشأ في بلدة الموصل دار علم ، وجعل فيها خزانة كتب من جميع العلوم وقفاً على كل طالب علم ولا يمنع احد من دخولها . فاذا جاءها غريب يطلب الادب وكان معسراً اعطاه ورقاً . وكان ابن حمدان يجلس

---

* راجع الاديب عددي آذار ونيسان ١٩٤٩ .

* بيت كلمة سامية معناها محل السكن و(حكمتا) بالسريانية معناها الفلسفة . وكانت الفلسفة تشمل (الفلسفة والطب والرياضيات والطبيعيات وغيرها ، وقد اطلق هرون الرشيد على موسسته اسم بيت الحكمة . وفي نسخة عهد من الرسول لاهل نجران ، ذكر الحبيب الراهب وانه من بيت الحكمة (مجموعة الآباء الشرقيين المجلد ١٣ ص ٦٠١) . وفي تاريخ ابن العبري ص ٢٦٤ ان المأمون ثبت بني شاكر في بيت الحكمة .

فيها ويجتمع اليه الناس فيملي عليهم من شعره وشعر غيره ثم يملي الحكايات المستطابة وطرفاً من الفقه وما يتعلق به (الارشاد لياقوت ج ٢ — ٤٢٠) .

واسس القاضي ابن حيان المتوفي سنة ٣٥٤ هـ — ٩٦٥ م في مدينة نيسابور داراً للعلم وخزانة كتب ومساكن للغرباء الذين يطلبون العلم واجرى عليهم الارزاق ولم تكن الكتب تعار خارج الخزانة .

كما انشأ ابو علي بن سوّار الكاتب احد رجال حاشية عضد الدولة المتوفي ٣٧٢هـ — ٩٨٢ م دار كتب في مدينة هرمز على شاطئ فارس كما بنى داراً اخرى بالبصرة .

واسس ابو نصر سابور وزير بني بويه ٣٨٣ هـ ٩٩٣م داراً للعلم في الكرخ غربي بغداد ، ونقل اليها كتباً كثيرة اشتراها وجمعها .

وقد جاء ذكر هذه الدار في حوادث سنة ٣٨٣ هـ في البداية والنهاية لابن كثير اذ قال : هذا الوزير ابتاع داراً في الكرخ وجدد عمارتها ونقل اليها كتباً كثيرة ووقفها على الفقهاء وسماها دار علم واظن ان هذه اول مدرسة وقفت على الفقهاء وكانت قبل النظامية بمدة طويلة . ومنه ترى ان ابن كثير يعتبرها مدرسة بل اول مدرسة وقفت على الفقهاء في الاسلام . ويعود ابن كثير في حوادث سنة ٤١٦ ويقول ان هذا الوزير انشأ سنة ٣٨١ هـ داراً للعلم وجعل فيها كتباً كثيرة ووقف عليها غلة كبيرة فبقيت سبعين سنة ثم احرقت عند مجيء الملك طغرل بك سنة ٤٥٠ هـ ١٠٥٧ م .

اما الشريف الرضي المتوفي سنة ٤٠٦ هـ — ١١١٥ م فقد اتخذ داراً سماها دار العلم (انظر ديوان الشريف ومتز) كما ان الخليفة الفاطمي العزيز بالله والد الحاكم بامر الله ٣٧٨هـ — ٩٨٨ اشترى داراً بجانب الجامع الازهر وجعلها لخمسة وثلاثين من العلماء .

ويرى من هذا ان دور العلم ظهرت اول ما ظهرت في الموصل في اوائل القرن الرابع الهجري ، وانها كانت تنزع نزعة ادبية فقهية اكثر منها علمية

ولنعد الآن الى دار العلم الفاطمية التي اسسها الحاكم بامر الله في القاهرة سنة ٣٩٥هـ ١٠٠٤ م . وقد جاء ذكرها في البداية والنهاية لابن كثير ، فقال انه اجلس فيها كثيراً من الفقهاء . ثم هدمها بعد ثلاث سنوات وقتل خلقاً كثيراً مما كان فيها من الفقهاء والمحدثين واهل الخير وغير ذلك (انظر حوادث ٤٠٠ هـ) كما جاء ذكر ذلك في شذرات الذهب (ج ٤ — ١٥٨) .

وقد وصفها لنا المقريزي في خططه وصفاً بديعاً في الجزء الثاني وسنأتي عليه اذ يعطينا صورة واضحة عن هذه المؤسسة كما يرمي ضوءاً على شبيهاتها في هذا القرن وما بعده في العواصم الاسلامية الكبرى . وقد استمرت دار العلم هذه الى ان ابطلها الافضل امير الجيوش لنزاع حدث بين الفقهاء . ثم اعيد فتحها تحت اسم دار العلم الجديدة سنة ٥١٧ هـ وظلت عامرة حتى زوال الدولة الفاطمية وقدوم السلطان صلاح الدين سنة ٥٦٧ هـ — ١١٧١ م .

ويقول المقريزي في خططه : « قال الامير المختار عز الملك محمد بن عبدالله المسيحي في يوم السبت العاشر من جمادى الاخرى سنة ٣٨٥ هـ فتحت الدار الملقبة بدار الحكمة بالقاهرة وجلس فيها الفقهاء ، وحملت الكتب اليها من خزائن القصور المعمورة ودخل الناس اليها ونسخ كل من التمس نسخ شيء مما فيها ما التمسه وكذلك من رأى قراءة شيء مما فيها ، وجلس فيها القراء ، والمنجمون واصحاب النحو ، واللغة ، والاطباء ، بعد ان فرشت هذه الدار وزخرفت وعلقت على جميع ابوابها وممراتها الستور واقيم لها قوّام ، وخدام وفراشون وغيرهم رسموا بخدمتها وحفل في هذه الدار من خزائن امير المؤمنين الحاكم بامر الله من الكتب التي امر بحملها اليها من سائر العلوم والآداب والخطوط المنسوبة ما لم ير مثله مجتمعاً لاحد قط ، من الملوك ، واباح ذلك كله لسائر الناس على طبقاتهم ممن يؤثر قراءة الكتب والنظر فيها فكان ذلك من المحاسن المأثورة ايضاً التي لم يسمع بمثلها من اجراء الرزق الى من رسم له بالجلوس فيها والخدمة لها من فقيه وغيره ، وحضرها الناس على طبقاتهم فمنهم من يحضر لقراءة الكتب ومنهم من يحضر للنسخ ومنهم من يحضر للتعلم وجعل فيها ما يحتاج الناس اليه من الحبر والاقلام والورق والمحابر .

« وفي سنة ٤٠٣ هـ ١٠١٢ م احضر جماعة من دار العلم من اهل الحساب والمنطق وجماعة من الفقهاء وجماعة من الاطباء الى حضرة الحاكم بامر الله وكانت كل طائفة تحضر على انفراد للمناظرة بين يديه ثم خلع على الجميع ووصلهم ووقف الحاكم بامر الله اماكن في فسطاط مصر على عدة مواضع ، وضمنها كتاباً ثبت على يد قاضي القضاة مالك بن سعيد وقد ذكر عند ذكر الجامع الازهر وقال فيه وقد ذكر دار العلم ، ويكون العشر وثمن العشر لدار الحكمة وما يحتاج اليه في كل سنة من العين المغربي ٢٥٧ ديناراً ،

من ذلك ثمن الحصر العبداني وغيرها لهذه الدار ١٠ دنانير ، ومن ذلك لورق الكاتب يعني الناسخ ٩٠ ديناراً ، وللخازن فيها ٤٨ ديناراً وثمن ماء ١٢ ديناراً، و١٥ ديناراً للفراس ، والورق والحبر والاقلام لمن ينظر فيها من الفقهاء ١٢ ديناراً ، ولرمة الستارة دينار ، ولرمة ما عسى ان يتقطع من الكتب وما عساه يسقط من ورقها ١٢ ديناراً وثمن لبود للفرش في الشتاء ٥ دنانير ، ومن ذلك ثمن طنافس في الشتاء ٤ دنانير .

« واستمر الحال الى ٥١٦ هـ ١١٢٢ م عندما كان رجلان يسمى احدهما بركات والآخر حميد بن مكي الاطفيحي القصار من جماعة يعرفون بالبديعية،فاخذ ا يجتمعون في دار العلم ويفسدون عقول الجماعة ويخرجونهم عن الصواب ، وذلك في ايام الافضل ، فامر باغلاقها والقبض على المذكورين . ثم اخذ الخدام يتوصلون الى الخليفة الآمر باحكام الله فتحدث الى الوزير المأمون ، لاعادة فتحها ففتحت ولكن في مكان آخر .

« وظلت كذلك الى ان استولى صلاح الدين على القصر وتولى ابن صورة بيع خزانة الكتب (الخطط المقريزي ج ٢ — ص ٢٥٥) وكانت من عجائب الدنيا ، ويقال انه لم يكن في جميع بلاد الاسلام دار كتب اعظم منها ، ومن عجائبها انه كان فيها الف ومئتا نسخة من تاريخ الطبري . ويقال انها كانت تشتمل على الف وستماية الف كتاب وكان فيها من الخطوط المنسوبة اشياء كثيرة .

ومما يؤيد ذلك ، ان القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي لما انشأ المدرسة الفاضلية بالقاهرة ، وجعل فيها من كتب القصر مئة الف كتاب مجلد . وباع ابن صورة دلال الكتب منها جملة في عدة اعوام ، فلو كانت كلها مئة الف لما فضل عن القاضي الفاضل منها شيء » . انتهى المقريزي .

دار العلم في القدس

هي اول معهد علمي اسلامي ببيت المقدس، انشأها الفاطميون في موقع كنيسة صند حنة (والدة مريم العذراء) ونرجح ان الحاكم بامر الله هو منشئها . فقد سبق له واسس دار العلم في القاهرة وهذه فرع منها .

وقد جاء في ابي الفدا المتوفي سنة ٧٣٢ هـ ١٣٣١ م ما يأتي « وزاد — اي السلطان صلاح الدين — في وقف المدرسة الصلاحية التي عملها في القدس وهذه المدرسة كانت قبل الاسلام تعرف بصند حنة يذكرون ان فيها قبر حنة ام مريم ثم صارت في الاسلام دار علم قبل ان يملك الفرنج القدس ، ولما ملك الفرنج القدس سنة ٤٩٢ هـ ١٠٩٨ م اعادوها كنيسة ، كما كانت قبل الاسلام ، فلما فتح السلطان القدس ٥٨٣ هـ اعادها مدرسة وفوض تدريسها ووقفها الى القاضي بهاء الدين بن شداد ».

ويستنتج من هذا ان المدرسة الصلاحية التي اسسها صلاح الدين سنة ٥٨٣ هـ ١١٨٧ م كانت قبل احتلال الصليبيين سنة ٤٩٢ هـ اي في العهد الفاطمي دار علم ، فاعادها الفرنج كنيسة كما كانت قبل الاسلام .

وقد جاء ذكر هذه المدرسة في صبح الاعشى « قال صاحبه ٧٥٦ هـ — ٨٢١ هـ قال في مسالك الابصار ، يقال ان بها قبر حنة ام مريم ثم صارت في الاسلام دار علم . فلما فتح السلطان صلاح الدين القدس بنى بها مدرسة » .

وجاء تحت بيمارستان القدس في كتاب تاريخ البيمارستانات في الاسلام للدكتور احمد عيسى ، ما اورده ابو الفدا (راجع عقد الجمان للعيني مخطوط ٧٦٢ هـ — ٨٥٥ هـ ونهاية الارب للنويري ٦٧٧ هـ — ٧٣٣ هـ في حوادث سنة ٥٨٨ هـ .

ومن الغريب حقاً ان لا يذكر القاضي ابن شداد عن هذا المعهد شيئاً ، مع انه فوض اليه تدريسه ووقفه ، كما ان مجير الدين الحنبلي صاحب الانس الجليل ومؤرخ بيت المقدس الحجة لم يذكر عنه شيئاً ايضاً .

وقد راجعنا كتاب (القدس الجديدة) للابوين فنسانت وابيل ، طبع باريس سنة ١٩٢٦ صفحة ٦٧٧ فوجدناهما يرجحان انها كانت معهداً فاطمياً وان الخليفة الحاكم بامر الله هو الذي انشأها .

اما تاريخ تأسيسها فجهول ولم نعثر حتى الآن على أي مصدر ينير لنا السبل عن هذا المعهد غير ما ذكرنا آنفاً . والارجح انه كان فرعاً من مؤسسة دار العلم في القاهرة وانه كان مركزاً للدعاية الفاطمية ، ونشر العلوم في فلسطين ، كما كان معهد دار العلم في طرابلس الشام الذي انشأه بنو عمار وخربه الصليبيون سنة ٥٠٣ هـ واحرقوه ، مركزاً للقسم الشمالي من ديار الشام .

بقي لدينا مسألة واحدة نود ان نثيرها وهي لماذا عين السلطان بنفسه ، موقع المدرسة الصلاحية ، في هذا المكان كما رواه مجير

الدين الحنبلي في الانس الجليل ؟ وجوابنا على ذلك ، يتلخص في ان السلطان صلاح الدين لما استقر له الامر في مصر ، الغى دار العلم الحاكمية هناك وامر ببيع كتبها فبيعت . فليس من الغريب اذن ان يختار السلطان صلاح الدين موقع كنيسة صند حنة بنفسه ليقيم عليه مدرسته ، ذلك لان هذا الموقع كان قبل تسعين سنة من دخوله القدس دار علم فاطمية،وهو لا يريد ان يبقي اثراًللفاطميين فينشيء عليه مدرسة للفقه الشافعي ، تعرف بالمدرسة الصلاحية . وقد ظلت هذه المدرسة عامرة من القرن السادس الهجري الى القرن الحادي عشر الهجري اي من الثاني عشر ميلادي الى السابع عشر ثم عادت في القرن التاسع عشر الميلادي فاصبحت مدرسة للرهبان البيض،ثم اعادها جمال باشا في الحرب الاولى ١٩١٤—١٩١٧ مدرسة اسلامية ، ولما زالت الدولة العثمانية عن القدس ١٩١٧ عادت مدرسة للرهبان البيض ولا تزال تعرف حتى يومنا هذا بالمدرسة الصلاحية .

واذ كانت نظريتنا هذه صحيحة ، ولم يقم لدينا اي دليل لدحضها فان دار العلم هذه ظلت عامرة ما يقرب من قرن الى ان احتل الصليبيون القدس فاعادوها كنيسة كما جاء في ابي الفداء .

البيارستان الفاطمي في القدس

ومن المعاهد الفاطمية الاخرى في القدس البيارستان الفاطمي . وقد وضعه لنا الرحالة الايراني ناصر خسروي في رحلته ٤٣٧ هـ ١٠٤٥ م — ٤٤٤هـ ١٠٥٢ م وكان قد زار القدس وشاهده ، وقال عنه انه مستشفى عظيم، له اوقاف، توزع فيه الادوية والعقاقير وبه اطباء ، وهو يشرف مع مسجد الجمعة اي المسجد الاقصى على وادي جهنم .

اما مجير الدين فلم يذكر لنا شيئاً عن هذا المعهد . ومن الطريف ان نسجل هنا ان هذا البيارستان سبق البيارستان الصليبي ، ولعلهم استفادوا من نظامه ونسجوا على منواله لما اسسوا بيارستانهم في القدس وهو في موقع كنيسة الدباغة الالمانية ، الى شرقي كنيسة القيامة ، ويعرف بالبيارستان حتى الآن .

المدرسة الناصرية (النصرية) ثم الغزالية بالقدس

وهذه مدرسة اخرى كانت على برج باب الرحمة شرقي الحرم القدسي وتعرف بالمدرسة الناصرية ، نسبة للشيخ نصر المقدسي ٤١٠ هـ—٤٩٠هـ ، ١٠١٩ م — ١٠٩٦ م ثم عرفت بالغزالية (الانس الجليل ج ١ — ٢٦٥) نسبة الى ابي حامد الغزالي ، ثم انشأها الملك المعظم عيسى وجعلها زاوية لقراءة القرآن ، والاشتغال بالنحو ووقف عليها كتباً من جملتها اصلاح المنطق لابي يوسف ابن السكيت وقد وقف مجير الدين الحنبلي على تاريخ وقف الزاوية ٦١٠ هـ ١٢١٢م ويقول ان هذه الزاوية قد دثرت ولم يبق لها نظام وصارت من المهملات في زمانه القرن التاسع الهجري اي الخامس عشر ميلادي .

ولا نعرف بالضبط من هو مؤسسها ولا تاريخ تأسيسها والذي نعرفه ان من شيوخها ابا الفتح نصر بن ابرهيم المقدسي النابلسي الحمايعلي الشافعي شيخ المذهب بالشام وصاحب التصانيف مع الزهد والعبادة ، سمع الحديث واملى ، وحدث واقام بالقدس مدة طويلة بالزاوية المعروفة بالناصرية بالغزالية نسبة له ثم عرفت بالغزالية لاقامة الغزالي بها ، ثم قدم دمشق فسكنها وعظم شأنه . ولما قدم الغزالي دمشق اجتمع به واستفاد منه . ومن تصانيفه التهذيب وكتاب التقريب وكتاب الفضول ، وكتاب الكافي وله شرح متوسط على مختصر شيخه سليمان بن ايوب الرازي ، سماه الاشارة ، توفي الشيخ نصر سنة ٤٩٠هـ بدمشق ودفن بباب الصغير (الانس الجليل ج١—٢٦٤) بالجامع الاموي شمالي مشهد عثمان . وكانت له زاوية بدمشق تعرف بالشيخ نصر المقدسي ، وانما نسبت للغزالي لانه لما دخل دمشق قصد الخانقاه السميساطية ليسكنها فعنفه الصوفية الذين كانوا بها ومنعوه من الدخول اليها لعدم معرفتهم ، فعدل عنها ، واقام بهذه الزاوية بالجامع الاموي . ثم عرفوا مقامه ومنزلته ؛ فحضروا باسرهم اليه واعتذروا عما بدر منهم وسألوه النزول بالسميساطية فاجابهم فعرفت الزاوية به . وقد درس بها الغزالي . واوقف عليها السلطان صلاح الدين قرية خزم باللوى من حوران .

وترجم الحنبلي صاحب شذرات الذهب لنصر المقدسي (ج٣—٣٩٥) وقال عنه انه سمع بغزة ، وآمد ، وصور والقدس وكان يقتات من غلة تحمل اليه من ارض له بنابلس،وهو في دمشق .

ومن شيوخ المدرسة الناصرية بالقدس الامام الغزالي ولد ٤٥٠هـ ١٠٥٨ م ٥٠٥هـ ١١١١م . اشتغل في مبدأ امره بطوس ثم قدم نسيابور واقام بدمشق وانتقل الى القدس مجتهداً في العبادة ، واخذ في التصانيف المشهورة في القدس . ويقال انه صنف فيها كتاب احياء علوم الدين ، واقام بالزاوية الناصرية . فسميت بالغزالية نسبة اليه وتوفي بطوس سنة ٥٠٥ هـ .

احمد سامح الخالدي

---

* في العدد القادم (في عهد الايوبيين) .

بوشكين والادب الكلاسيكي الروسي

بقلم الكسندر ايغولين

مدير معهد « غوركي » للادب العالمي والعضو المراسل لاكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي

●

قال الناقد الروسي الاكبر* فيساريون بيلنسكي : « ان الكلام عن بوشكين، كلام عن الادب الروسي كله». ذلك ان بوشكين هو من اولئك العباقرة الخلاقين، ومن تلك الوجوه التاريخية الكبرى التي تُعدّ المستقبل، في عملها للحاضر.

كان الادب الروسي، قبل بوشكين، ممثلاً بكتاب كبار، كلومونوسوف، وفونفوزين، ودرجافين، ورايشتشيف. وثمة شعراء مشهورون ككريلوف، وجوكوفسكي، وباتيوشكوف، كانوا معاصرين لبوشكين، الا انهم كانوا من الجيل السابق.

ان الفضل في ازدهار مواهب بوشكين ازدهاراً لا مثيل له، عائد الى الثقافة والادب الروسيين، كما انه عائد الى الثقافة العالمية. فلقد اغنى فكره بكل ما كان في ادب الماضي من ثين، وساهم في زيادة محاسن هذا الادب زيادة عظمى.

ان بوشكين هو اب الادب الروسي الحديث. فقد كانت آثاره تعبيراً رائعاً عن السبل الجديدة لتطور اللغة والآداب الروسية.

ان اكثر ما تتمثل به عظمة العبقرية عند بوشكين هو واقعيته. فقد كان اول شاعر ارتبط بالواقع كمصدر لابداع الفنان. اثار في مؤلفاته قضايا ذات اهمية اولية كانت ترجّ المجتمع الروسي التقدمي في ايامه. وقد شهد بعينيه مأساة الناس البسطاء الذين كانوا يعيشون في روسيا القيصرية، وان في آثاره لصورة لبؤس الفلاحين الروس وشهادة عليه.

كان بوشكين، في تعبيره عن اكثر الافكار تقدمية في عصره يخدم الشعب ويساعده على شق طريق تحرره.

وكان، بين جميع الكتاب، اول من ادرك ان الادب نتاج قومي. وقد قال نقولا غوغول، في حياة بوشكين، «ان اسم بوشكين وحده يبعث في الذهن، حالا، فكرة شاعر قومي روسي».

ان الشعب الروسي، ولغته، وتاريخه، هي الينبوع الذي عبّ منه عبقرية بوشكين الخلاقة.

كان الشاعر الكبير يعمل على ان يكون ابداً في تماس مع الشعب. فكان يدرس عادات الفلاحين، وينتبه الى الاغاني الريفية، ويصغي الى اساطير القصاصين الشعبيين، ويعمق معاني الامثال الروسية. وكان يقول ان دراسة الاغاني القديمة والحكايات الروسية لا بد منها لمعرفة خصائص اللغة الروسية معرفة حقة.

وان الاهتمام الدائم المطرد الزيادة الذي كان الفن الشعبي الشفوي، ولغة الجماهير، يثيرانه لدى بوشكين، لبرهان قاطع على مفهومه التقدمي عن العالم، وعلى المبدأ العميق الواقعية الذي كانت تقوم عليه طريقته الخلاقة.

ان النزعة الانسانية، وتمجيد الحرية، والطموح الى فن يدنو من الشعب، هي الصفات المميزة لانتاج اكبر الكتاب الروس في عصر بوشكين، وهي التي جعلت من الادب الروسي، من بوشكين حتى غوركي، الادب الاول في العالم. ان الادب الروسي يرفع لواء الحرية والدفاع عن حقوق الجماهير الشعبية، اعلى مما ترفعه جميع الآداب.

وقد ساهم بوشكين بانتاجه، في تهيئة تطور الادب الكلاسيكي الروسي. وان ميل هذا الشاعر العبقري الى طريقة الواقعية الانتقادية، وعطفه العميق على المحرومين والمضطهدين، واهتمامه الدائم بالعلاقات بين الملاكين العقاريين والفلاحين، قد جعلت منه السلف الحقيقي لاكثر كتاب القرن الماضي.

لعبت مؤلفات بوشكين دوراً حاسماً في تطور الشعر والنثر

* احتفل الاتحاد السوفياتي في ٦ حزيران ١٩٤٩ احتفالات رائعة للذكرى السنوية الـ ١٥٠ لميلاد الشاعر الروسي الكبير الكسندر بوشكين.

الروسيين. وقد خلق، في روايته الشعرية « اوجين اونيفين»،نموذج « الرجل النافع » في شخص اونيفين ، وهي شخصية انتشرت في الادب الروسي، على الاثر، انتشاراً واسعاً جداً،حتى عند تشيخوف نفسه. وكذلك فان الصورة الشعرية للمرأة الروسية التي عرضها بوشكين، لاول مرة ، في شخص الفتاة تاتيانا لارينا ، نجدها، على الاثر ، في شخصيات كبار الروائيين ، وبالدرجة الاولى ، لدى تورغينيف، وغونتشاروف ، وليون تولستوي.

ولقد كان الشاعر الروسي الكبير ميخائيل ليرمونتوف(١٨١٤ — ١٨٤١) اكثر معاصري بوشكين تقرباً من مبادئه الخلاقة .

برزت شهرة ليرمونتوف عند ظهور قصيدته «موت الشاعر»، تلك القصيدة التي نشرها مخطوطة ، وتناول فيها مصرع بوشكين الفاجع. وقد لقيت هذه القصيدة تأييداً اجماعياً من الجماعات الواسعة من العالم الروسي التقدمي. ان ليرمونتوف خليفة بوشكين،ومتمم نتاجه الرفيع. وتأثير بوشكين على ليرمونتوف لا جدال فيه. فهو ايضاً قد استوحى من حياة الشعب فيما انتج . وكانت المواضيع الثورية اكثر ما قدّره ليرمونتوف في التراث الذي خلفه بوشكين.

ان بوشكين هو الباعث الاول للواقعية الانتقادية التي بلغت اوج ازدهارها عند نقولا غوغول (١٨٠٩ — ١٨٥٢).

وكان غوغول ابداً يعتبر بوشكين استاذاً له • فقد كان لمؤلفات الشاعر: « اوجين اونيفين » و « الكونت نولين » و « السباعي » و « صانع التوابيت » ، وغيرها تأثير عظيم على الكاتب في الآثار التي ابدعها. وكان غوغول نفسه يعترف بالدور الكبير الذي لعبه بوشكين في تطوره الادبي. وقد كتب، حين جاءه نبأ مصرع الشاعر: « لقد اختفت معه جميع متع حياتي ، وكل ما كان عندي اكبر ملذاتي. اني ما كنت اقدم على شيء ابداً دون ان استشيره . وما كنت اكتب سطراً دون ان اراه امام عيني » .

ومعلوم ان مواضيع اعظم مؤلفات غوغول، كـ « الفاحص » و « الارواح الميتة » كان قد اشار عليه بها بوشكين. وقد تمسك غوغول بتقاليد الشاعر العبقري الواقعية ، فابدع آثاره الخالدة . فهو مؤسس الواقعية الانتقادية ، هذا التيار الجديد ، واكثر تيارات الادب الروسي ، في القرن التاسع عشر ، نفعاً .

وفي السنوات الستين من القرن الماضي ، ظهر في عالم الادب نقولا نيكراسوف(١٧٢١ _ ١٧٨١). انه اكبر شعراء العصر ، المتمم الكفء لبوشكين ، الشاعر الذي طوّر، في ظروف جديدة، مزايا شعر بوشكين الخاصة . من فكر ايديولوجي تقدمي ، وديموقراطية ، وبساطة ووضوح في التعبير عن افكاره ومشاعره.

ان بوشكين ونيكراسوف شاعران عائدان الى عصرين مختلفين وظروف اجتماعية مختلفة. ولكنهما ، كليهما ، قد برزا في طليعة اكبر رجال عصريهما. فاذا كان بوشكين صديقاً للثوريين الديسمبريين الذين ثاروا ضد الحكم القيصري، في كانون الاول(ديسمبر)١٨٢٥، في مدينة سانت بطرسبورغ (لينينغراد اليوم) فلقد كان نيكراسوف صديقاً لكبار الثوريين الديموقراطيين — نقولا تشرنيشيفسكي ونقولا روبروليوبوف. واقد صور بوشكين انتفاضات الفلاحين في « روبروفسكي » و « بنت الكابتين » ، وجعل نيكراسوف من الثورة الفلاحية موضوع مؤلفاته الكبير.

لقد كان الحقد على الاستبداد والعبودية الينبوع الذي غذى شعر بوشكين، وشعر نيكراسوف. وان مجد الشاعرين لعائد الى نضالهما المتأجج الحرارة في سبيل الحرية. وقد جمع الشاعران ، في انتاجهما « بين الروح الوطنية العميقة ، والمشاعر الوجدانية الرفيعة، والفن الشعري الفريد».

ولقد احدثت آثار بوشكين تأثيرها ايضاً على غونتشاروف ، وتورغينيف، واوستروفسكي، وليون تولستوي، وتشيكوف، وغوركي.

كان مكسيم غوركي(١٨٦٨—١٩٣٦)، الكاتب الشعبي الكبير، ومؤسس الادب السوفياتي، يحب بوشكين حباً جماً. ففي المقالات العديدة التي كتبها غوركي عن الشاعر الكبير، كان يشبهه بالكاتبين العبقريين شكسبير وغوته. ولقد ذهب غوركي في تقديره ابعد ايضاً فعنده ان بوشكين ليس فقط في مصاف اكبر عباقرة الادب في العالم ، بل انه ليحتل المرتبة الاولى بين هؤلاء الكتاب .

وتوجد في آثار غوركي مواضيع وشخصيات اوحاها اليه ابداع بوشكين. فقصة غوركي « ماكار تشودرا » ، مثلاً ، قريبة كثيراً ، في موضوعها ، من قصيدة بوشكين « النّوَر ». والاثران ، كلاهما ، نشيد في غناء الحرية ، وغناء الانسان القوي الابي. وفي قصة اخرى لغوركي، هي قصة «العجوز ايزيرغيل» ، يشعر ان المؤلف قد استوحى قصيدة « الرسول» لبوشكين ، في شخصية دانكو الشهم.

ان الشاعر الكبير قد خلق فناً روسياً قريباً الى فهم الشعب وعزيزاً على قلبه. ولقد كان نضاله ضد الحكم المطلق والعبودية مرتبطاً ارتباطاً عضوياً بما كان يحلم به من تحرير الانسان من كل اضطهاد. لهذا يحب الشعب الروسي ويحترم شاعره الكبير الذي وقف حياته كلها على الدفاع عن مثل الانسانية العليا.

الكسندر ايفولين

الزهرة الحبيبة

بقلم فؤاد الحمري

هذه حبة من قلبي ، اضعها هنا على ترابي ، واغمرها بفيض دافىء من نفسي .. واهيء كي ازرعها في روضي .

ورحت اسعى في الخمائل ، اسائلها اين اغرسها ، فانا اخاف على غرستي من عصف الريح والمطر الكثير . وناديت بلبلا في اعلى السنديانة اقول له امري ، فنصحني ان ازرعها هنا : عند نبع الساقية ، فالماء عذب ، والارض سخية ، والحرير خفيف ناعم لن يعكر ليلها ، وهي الى ذلك عند نافذتك تراها اي وقت تشاء .

وتمتمت : رأي سديد سأعمل به ، ولكن لا بأس ان امر بغصن الورد عند السياج ، فهو يعرف في هذا الامر أكثر من البلبل ، اذ انه لا ينتقل من مكانه ، اما البلبل فهو من شجرة الى شجرة ، ومن ساقية الى جدول ، لا يعرف من امور الروض الا ان يطير ، ويقبل ، ويغني ، ورقة الجناح .

ووصلت الى الغصن — وكانت تظهر عليه بوادر الهم وكآبة وأخبرته سؤلي .

— أتريد ان تزرع هذه الحبة ؟ .. اتذكر قصتي ؟ عندما وضعتني على التراب ورحت تسأل آنذاك الريح والنهر والشجر الباسق ، اذ لم يكن في ذلك الحين روض بعد ، وقالوا : عند الحدود فتزهو روضتك ، والزوار يشتمونها معجبين .. ! نعم اني عند السياج الآن . ولم يكن في وقتها سياج ، فكنت على حدودك القاصية المشرفة على وديان سحيقة قاحلة ، وجاء الريح ليقطفني .

— وقد كنت اعيش في امل رعشات النسيم — فحميتني بهذا السياج فلم يرد من عذابي . والليلة بعد ان نعقت البومة على فرع التينة ، ثارت عاصفة هوجاء وهشمت جانبي .. انظر هذه آثارها .

واطرقت اتأمل .. : ولكن لا بد ان ازرع الحبة ولا بد ان ارى لها غصوناً واوراقاً وارى لها زهرة جميلة .

— وماذا تنوي ان تقول ؟ — اقول لا تزرعها ان كنت تحبها .

— اهذا الرأي هو النصيحة والقرار ؟

— نعم ! بل اكثر عن قرار .

— لا بد ان ازرع الحبة .. وادرت ظهري ايمم البلبل .

— قل لي — يا بلبل — هل ازرعها قرب الساقية ؟

— ازرعها هنا .. — والرياح العابسة ان مزقتها ؟ اني اخاف عليها .. فهي نفس مني عزيز ..

ازرعها ، وسأغني لها الليل الطويل ، واحميها من الريح ، واظل احرسها من هياج العاصفة ما بقيت ..

— شكراً — يا بلبل — ولكن كيف لجناحيك الرقيقين ان يقاوما العاصفة الجامحة ، ولصوتك ان ينطلق في الليل البهيم ، ولرعايتك ان تمد في حياتها ، وهذه الارض اصبحت ليلا داجياً ، ودوار رياح .

— لا تخف سأضمها بين جنبي كل ليلي ، واطعمها من فمي ، واحدثها عن حبي ، سأنقل لها الماء من هنا — من قلب الغدير — ، واضعها في حبات انتقيها من تراب هذه الارض .

— ولكن الليل لا يعبأ بغنائك ورعايتك فهو مظلم كالحقد ، والريح عاصفة كالجحود .

— سأذهب للشمس اغني لها كي لا تغرب ، والريح ، سأبكي للسحاب ان يردها عن تراب الحبة .

— قد يرفضوا ، فنقضي في تلهف الامل .

لقد شعر البلبل بألمي ، ورأى دمعة حائرة في جفني .

— سأراها ، لعلها تمنحنا ما تريد .!

— لا . لا تذهب ، وقد تضيع في منعرجات الطريق فأخسرك ، واخسر الحبة .. لا تذهب ، ابق الى جانبي ..

— لا بد ان اذهب . وينطلق البلبل نحو الشمس .

— إن على الارض ، هناك في دنيا الروض ، حبه لن تعيش الا اذا كان لها نور من دفقك ، عزيزة على صاحبها ، يحسها نفحة لروحه ، وجئت استعطف ضياءك وحرارتك ، ان تبقى لنا في الليل سميراً يرعاها لتعيش . — ولكن لا يمكن ان يكون ذلك ، يمر الغروب عليكم وينام الروض في هذا الليل ، في غيابي .

— اتريدين ان يتألم الروض ، وفيه شذا ، وفيه عبق ، وفيه

تسابيح في فجرك ، نستقبلك كل يوم عندما تطلين بوجهك الحبيب ، وننشد اغنية اللقاء كل صباح عندما تقبلين ، فتهتز الحركة في داخلنا ونبدأ نحيا ، فبدونك ركود وفناء .

– ولكن كيف اغير مجرى حياتي ، واظل اطل على الروض كل يوم ، فلو يعود عندكم ظلام ، فتنسوا الفجر واغنيات اللقاء الحبيبة الي .

– نريد نحن ليلا في روضنا ، نزيده كي نشتاق للفجر الجديد ، ولقائك الجديد ، ولنلهم الغناء الشجي من نورك . ولكن نزيد للحبة وحدها نوراً . – واين تسكن الحبة يا بلبل ؟

– لم نزرعها بعد ، فهي الآن على تراب الارض ، سأغني لك يا شمس ، وسيعبق الروض شذاً فنبعثه على نسمة غادية ، فتقبلك وتحمل لك همس نشيدي ، وتبثك شذا الروض .

– سأعطي الحبة نوراً ، فأدع كوة في حجابي يمر منها شعاع ينهمر على البقعة التي تسكنها الحبة .

– شكراً .. ووداعاً يا شمس .

ويقبل البلبل الشمس قبلة حارة ، ويتركها ليذهب للسحاب ليحدثه في امر الرياح .

– اود ان اكلمك ، ولا استطيع ان اصرخ ، فيخرق صوتي هذا الدوي حولك ، فتسمع ما اقول .

ما اقول ..

– ماذا تريد ؟ – اريد ان احدثك .!

– انتظر لاسكت هذه الرياح ، او ارسلها الى مكان آخر . نعم تكلم .

– انها حبة في الروض الذي يسقيه مطرك ، والذي خضرته وزهوه منك ، وانا احد البلابل فيه ، جئت اسألك ان تبعد الرياح من بقعة في ارضنا ، وتسكت العواصف في جهة من روضنا .

– لا يمكن ان يكون ذلك – ايها الصغير – اذ هو عملي ان ارسلها مجنحة الى كل صقع ، وما تطلبه يخالف قانون ملكوتي .

– ولكن سيحزن الروض ، ولن يعود للرياح ما تلاقيه في تلك الارض ويذهب الالم بالخضرة ، والسنديانة الطويلة والخمائل المورقة فيغيب الغناء ، ولن يظل للريح نشيده العتيد بين اوراق الاشجار ، وسيفنى ازيز الريح في الوادي .

– وما هي الحبة التي يود ان يزرعها ؟

– هي حبة من قلبه عاشت معه طويلاً ، غالية لا يعادلها في الحب شيء . – ولا تعيش في الريح ؟

– انه يخاف من الريح ان يؤلمها .

– سأسكت الريح في ارضها .

– شكراً لك – يا سحاب – ودعني انشد لك نشيد الرياح الهادئة ..

هذه الهدأة مني بنت الريح المزمجر العابس ، وهذا الصفاء من ثورتي الهائجة ، وهذا الكرم في احسان العطاء من نبع صاحب جبار لولاه ما جاء على الارض اخضرار اونبتت حياة ، انه الوردة الباسمة ، انه السنديانة الباسقة ، انه الشجر والساقية ، انه الرياض والخمائل والعذوبة في هذه الدنيا . انا الهدوء وانا الصخب . انا الحياة .

ويرجع البلبل المنتصر الى الروض فرحاً يفتش عني ، فيجدني عند الوردة ، اعاتب الريح على قسوته وابكي ، اذ قضت الوردة الكسيرة .

– لا تبكي ، فقد حدثت الشمس والسحاب ، وقد سمعوا ما طلبت ومنحوني ما اردت .

اشكرك يا بلبل . لقد فقدت الوردة ، ان كرم السحاب لم يمنع الريح هنا ان تحطم غصن المسكينة وتدحرج آلامها الى الوادي صرخات باكية .

هيا نزرع الحبة ، وستنبت كأحسن ما يكون زرع . وزرعت الحبة عند الساقية ، زرعتها بالحار من انفاسي ، وبدفق حبي ، وحبوتها كل ما في قلبي . وتركتها وغنى لها البلبل ، واستجدى حناجر كل غريد معه ، وانسابت الساقية تهمس له كل صبوة وكل نسمة ناعمة ، والشمس بقبضة النور الموعودة من كوتها في الحجاب انهمرت على ارضها تبعث فيها الحياة الدافئة .

ونمت الحبة ، وكم كنت ابثها روحي : في اغصانها ، في اوراقها ، في كل جذع منها . واصبح لها زهرة تعبق في الروض ، وتنثر غمامات الشذا في الريح لينقلها للسحاب ، ومع قبضة النور للشمس وكنت معها صباح مساء ، اقبلها وامد بيدي عليها فأحس السعادة تتسرب الى كياني ان هذه الزهرة سبيل هنائي .

وتمر الايام .. وذات مساء ، ناجيتها ، وقبلتها ، وبكيت عند ساقها ، وذهبت وأرقت حتى الصباح ..

ووقفت الى نافذتي حيث تطالعني الزهرة . واذا الزهرة ساجدة على الارض . وانها الرياح . رياح الظلام الحقود قد حطمت زهرتي عند الساقية كما حطمت وردتي عند السياج .

والبلبل .!! ناديته ، فاذا هو الى جانب الزهرة يبكي . البلبل الذي لم تعرف حنجرته الا الشدو والغناء يبكي على الزهرة المحطمة .!

تعال يا بلبل لندخل ونغلق نافذتنا . فلن نزرع بعد اليوم حبة .

فؤاد الغمري

الاستنطاق

للكاتب الايطالي لويدجي كبوانا ترجمها عن الايطالية **مصطفى آل عيال** ليسانسيه في الآداب

•

لويدجي كبوان (١٨٣٩ - ١٩١٥) استهل حياته الادبية كصحافي فبرز وصار نقادا بارعاً عدلا فهاب صريف قلمه الادباء. ثم استاذا للبيان في جامعة Catania فجلى. وهو يعتبر كرسول او زعيم المدرسة الطبيعية والتحليل النفسي الموضوعي اللاشخصي في ايطاليا كلها. ألف كثيرا في جميع الحقول وخصوصاً في حقلي الرواية والاقصوصة. ولم ينس بان يكتب للاطفال بلغة صافية لا تعرف التعقيد. كان ذا خيال واسع حي. يضرم النار في كل ما يكتب فيشع النور ويبهر الانظار ويقبل عليه الناس بلهفة علهم يرجعون من نوره وناره بقبس يضيء لهم السبيل فتنقلب وحشته الى انس. وفي اواخر ايامه تخلى عن الزعامة في المدرسة الطبيعية وهجر مذهبه فيها. وشأنه في ذلك شأن كل فنان عبقري ينشد الحقيقة اينما وجدها لا ضير عليه في اعتناق مذهب وتركه آخر ما دام يسعى وراء مثله الاعلى. وليس من عجب لعبقرية كبوان انه ابن تلك الجزيرة المسماة بصقلية والتي طالما ضمت تحت سمائها نخبة من العلماء العرب في القرون الخوالي، فتركوا فيها من نورهم وعلمهم وعبقريتهم ما لا يزال ذخرا وراثياً لسكان الجزيرة.

■

— انا لا اعرف شيئاً يا سيدي القاضي.

— كيف لا تعرف شيئاً وقد حدث ذلك على بعد خمسين خطوة من حانوتك.

— قلت لا اعرف شيئاً.. اعني اريد ان اقول: تقريباً لا اعرف شيئاً. انا رجل حلاق والحمدلله زبائني كثر مما يجعلني اواصل العمل من الصباح حتى المساء: حلاقة ذقن وقص شعر وتمشيط. نحن ثلاثة في الحانوت ومع ذلك لا نجد لنا متسعاً من الوقت لنحشر رؤوسنا وخصوصاً انا من بينهم. ان اكثر الزبائن، والشكر لهم، يفضلون يدي ان تعبثا بشعرهم على ايدي زميلي الشابين. وربما هذا التفضيل عائد للنكتة التي اسليهم بها، وكما لا يخفى جنابكم فاني طوال النهار مشغول فكيف تريدونني والحالة هذه ان انتبه الى ما يقترفه غيري خارج حانوتي؟ ولما قرأت جريدة الصباح ووقفت على الخبر جمدت في مكاني مشدوهاً وقلت: «واأسفاه. كان يجب ان ينتهي الامر هكذا كما انتهى». — ولماذا تقول واأسفاه وما يدريك من هذا الامر وكيف كان يجب ان ينتهي؟

— ... لانه انتهى هكذا على هذا الشكل. حضرتكم تفهمون.. في تلك اللحظة تمثلت الزوج بوجهه البشع. ففي كل مرة اراه يمر من امام حانوتي كنت افكر، وطبعاً عن غير قصد مني، انما خواطر طالما تعترض رؤوسنا، قلت كنت افكر: ان سيمة الجريمة تشع من سحنة هذا الرجل. وليس معنى هذا انه مجرم. كم يوجد من التعساء المساكين من هم ابشع من الخطيئة الكبرى ذاتها. فاذا دققنا البحث نجدهم في الحقيقة من اطيب خلق الله قلباً. ولكن فراستي بهذا الرجل ما اظنني كنت على خطأ بها.

— كنتما صديقين.. يقصدك غالباً ويجلس على باب حانوتك.

— غالباً... لا بعض الاحيان: «هل تسمح لي ايها الصديق» ويمد يده الى كرسي كان دائماً شاغراً ويضعه امام الباب ويجلس عليه فهل كان علي ان امنعه من ان يفعل ذلك، كان يناديني بصديقه وكذلك كان ينادي كل الناس... جنابكم تفهمون حياة المجتمع.. ان دكان المزين هي للعموم كالقهوة والحانة بفارق واحد هو ان الجالس عندنا لا يدفع اجرة الكرسي وما من احد



يضطره على حلق ذقنه او قص شعره .

كان يفوه بكل بساطة بهذه الكلمات :« هل تسمح يا صديقي » ثم يتناول الكرسي ويجلس ويعتصم بالصمت ويدخن لفائفه الواحدة تلو الاخرى ويزوي ما بين عينيه ويطبقهما نصف ساعة او ساعة او اكثر . . كان ذلك في بادىء الامر يزعجني . ان بعض الناس كانوا يتهامسون فيما بينهم ويشيعون الاقاويل .

— ما هي هذه الهمسات وما هي تلك الاقاويل ؟

— هي همسات تافهة فقط .. سعادتكم تدركون احسن مني كم في الناس من رياء وخبث ، اما انا فقد اتخذت لي نهجاً لا احيد عنه وهو ان لا اصدق حتى حرفاً واحداً من كل ما يقال ان خيراً او شراً . وهي الطريقة المثلى للعيش الهنيء .

— دعك من الشطط واذكر لنا شيئاً عن هذه التقولات .

— تقولات تقولات . ما تقولات . اليوم نستمع الى اشاعة وغداً نسمع بأخرى تناقض الاولى وهكذا دواليك . . . وكان المغزى من كل هذه البلبلة ان اقتنع الزوج المسكين بان زوجته . . . جنابكم تفهمون . . الزوجة الحسناء الجميلة هي قصاص من الله رب العالمين ينزله على عباده الطالحين . اجل يا حضرة القاضي . . ان بعض الامور لا يراها فقط من لا يريد ان يراها بل و . .

— اهو اذن الزوج . . ؟

— اني لا اعرف شيئاً يا حضرة القاضي . . الحق يقال انى في كل مرة اراه جالساً اما في داخل الحانوت او على الباب اسائل نفسي : ان هذا الانسان لا يرى ولا يفقه شيئاً مما يدور حوله معناه انه اعمى البصر والبصيرة .

— وهكذا وحسب رأيكم فان « دن نيكازيو » .

— ماذا . كلا يا سيدي ، انا لا اريد ذر الملح والبهار . . شأنه وما يرى ويريد . لكل منا وجدانه . لقد قال السيد المسيح : « لا تقاض احداً اذا كنت لا تحب ان تقاضى » . . بالمناسبة : في احد الاصباح او الامسيات . . . لا اذكر جيداً متى كان ذلك . . بل لا اتذكر الآن . في صباح احد الايام عندما رأيته وهو يمر مقطباً ومنكس الرأس ، كنت على الباب اسن الموسى ، دفعني فضولي الى ان احييه واهزله رأسي علامة الاستفهام عما به . اقترب مني وحدجني بنظرة واجابني : « الم اقل لك باني عاجلا او آجلا سأركب رأسي واقترف عملا جنونياً . وسأقوم انا بتنفيذ ذلك يا صديقي . انهم يجرونني جراً الى ارتكاب ذلك . « دعني اقص لك الحبل الذي يجرونك به » ، قلت له مازحاً كي اسري عنه وانسيه عزمه .

— اذن أقال لك ؟ . . وفي اي مناسبة فاه امامك بذلك ؟

— كما لا يخفى سيدي القاضي انه مجرد كلام يفوه به المرء احياناً على غير وعي منه . فمن يعيره اهتماماً ؟ وخصوصاً انا ولي عن كل هذا الف شاغل . .

— هيه . قل لنا في اي مناسبة قال لك ذلك ؟

— ربّاه . . ليمهلني سيدي كي اجمع الي افكاري . . في اي مناسبة . فيما يتعلق بزوجته طبعاً . ومن يدري ربما احد الاشرار اسر له شيئاً في اذنه . يكفي نصف كلمة لتحمل رجلا مسكيناً تعيساً كهذا على فقد سلامه وامنه . . ها قد شرحت لكم كيف يتلفظ المرء عن غير قصد منه بكلمات مثل هذه : ان عاجلا او آجلا سأركب رأسي واقترف عملا جنونياً . هذا كل شيء . هذا كل ما اعرفه وسمعته يا سعادة القاضي .

— وانت اجبته على كل ذلك بنكتة فقط ؟

— وهل كان علي ان اجيبه : ارتكب ما تريد . لقد غادرني وهو يهز رأسه . ماذا جال بخاطره بعد ذلك فالله اعلم . وليس بوسع مخلوق ان يعلم ما يجول في عقول الناس . . وكنت احياناً وانا استمع اليه وهو ينفس عن ذاته . — وهل كان ينفس عن ذاته امامك ؟ . .

— . . اجل كان يفعل ذلك امامي وامام غيري .

جنابكم تفهمون . . فالانسان يتحمل اولا وثانياً واخيراً وحتى لا ينفجر ينفس عن ذاته امام اول انسان يلتقي به .

— سيدي القاضي اني بصفة كوني مزيناً كان في كل مرة يستدعيني . كنت اذهب غالباً متأخراً وليس الذنب ذنبي .

— ومن المرجح المعلوم كنت تذهب ايضاً عندما يكون هو غائباً . — عمداً . كلا . ابداً . .

— وعندما كنت تجد زوجته وحدها كنت تسمح لنفسك بان . . .

— هذه فرية يا سيدي القاضي . من قال ذلك ؟ . . هي ؟ ربما فهت وعن غير قصد مني ببعض الكلمات على سبيل المداعبة. جنابكم تفهمون . لا اكاد اجد نفسي فجأة وجهاً لوجه امام امرأة جميلة حتى . . . سعادتكم لا يخفاكم شيء . . وحتى لا اكون امامها كالابله الاحمق . . — كنت تتلفظ بكلمات على سبيل المداعبة واى مداعبة . انك قد هددتها ايضاً . .

فرية اخرى اكبر من الاولى . ولماذا اهددها . . لا حاجة لي الى تهديد امرأة كهذه . . لن انحط الى هذا الدرك مثلا . ولست بالرجل الغر . .

— في سبيل الحب يرتكب الانسان كثيراً من الحماقات . كي

— ان تلك المرأة لقادرة على كل شيء . . ان بوسعها ان تفتري على سيدنا يسوع المسيح ذاته . . احب . . انا . في مثل سني لي من العمر اربعون سنة ونيف يا سيدي القاضي . . وقد ابيض بعض شعري . اجل لقد ارتكبت حماقات كثيرة في شبابي ككل الشباب . اما الآن . . وثم امرأة كتلك . . انا لست بالاعمى اذا كان زوجها اعمى . كنت اعرف بان ذاك الوغد* . . مسكين هو لقد دفع ثمن حماقته غالياً . اقول ان ذاك الشاب الوغد هو الذي نفخ لها في رأسها وحاد بها عن سواء السبيل . . وهذا ما يحدث لبعض النسوة : يركضن ويركضن ركضاً جنونياً وراء عشيق ويتعلقن به ثم يهجرنه الى غيره حتى يصبحن اخيراً رقيقاً لواحد من اراذل الناس يستشرهن ويعاملهن شر معاملة . . لقد ضربها ضرباً مبرحاً يا سعادة القاضي . ومراراً عديدة يا جناب القاضي . عندئذ ومن اجل الزوج المسكين الذي كنت ارثي لحاله . . . آه الآن فهمت لماذا تقول بانني تهددتها . انها تقول ذلك لانني ارتكبت الحماقة الكبرى فقصدتها في بيتها وقصدي ان اعظها وانصحها وكان ذلك في اليوم ذاته الذي مر بي دن نيكازيو زوجها وقال: سأركب . . . —كلا . . انت الذي قلت له ذلك .

— اجل سيدي . الآن فقط تذكرت . . فقد قلت لها : « سأقوم عودك انا بذاتي حتى لو كلفني ذلك فقدان حريتي وزجي في السجون » . . طبعاً كنت اتكلم باسم زوجها . وكم — ونحن في ثورة غضب — نتقمص دور الآخرين . .

— ان الزوج يجهل كل شيء ذكرته الآن .

— هل كان علي ان اتبجح امامه بذلك . اما ان نخدم اصدقاءنا بدون ان نشعرهم بذلك اولا نخدمهم . هذا على الاقل ما افهمه انا من معنى الصداقة المجردة . — ولماذا كل هذا الاهتمام ؟

— هذه طبيعة في نفسي يا حضرة القاضي وربما تكون مغايرة لطبيعة الآخرين . اني امرؤ طيب القلب .

— انتهديداتك اصبحت ملحة . ثم اتبعت التهديدات بالوعود واي وعود . وليست وعود كلام بل افعال : قدمت لها قرطين وخاتماً . .

— هذا صحيح . ولا انكره . كانت هذه الاشياء في جيبي صدفة . كانت لزوجي . وكي امنع دن نيكازيو التعيس من ان ينفذ تهديده الجنوني اقدمت على ذلك العمل الخارق من الكرم بالنسبة لي طبعاً . وفكرت باني سرعان ما ابلغ الهدف بهذا العمل الطيب واقطع الطريق على ذلك الشاب الوغد ، اقول لدن نيكازيو «ايها الصديق ها قد اصلحت ما بينك وبين زوجك فرد علي الآن الخاتم والقرطين» . ولن يدعني اكرر عليه الطلب . انه رجل شهم شريف .

— ولكن لما أجابتك : احتفظ باشيائك ، ليس بي حاجة اليها ، هممت تقريباً بالبكاء ، وبدأت تتوسل اليها وتستحلفها وتستعطفها .

— آه يا سعادة القاضي ما دمت تريد معرفة كل شيء . الحق اقول لك انني لا ادري كيف تمالكت نفسي . في تلك اللحظة خلتني بانني انا الزوج ، ولا ادري ما منعني من نشب اظفاري في عنقها وخنقها ، وهكذا كدت انا ارتكب تلك الحماقة التي كان يريد زوجها ارتكابها .

— لا شك في انك رجل حذر . وعلى ما ارى فكرت : « لا انا ولا هو ، اعني خليلها الشاب . فدرت حول الزوج وبدأت توسوس له في اذنه » ولم يهتم هو بالامر كثيراً وترك الامور تجرى في مجاريها اما لانه ما كان ليصدق تلك الاشاعات او صدقها وآثر الصمت واحتمال اذى اخف من السجن او الشنق .

— ربما فهت بكلمة ما خرجت عفواً . . ان الرجل الشهم في بعض الاحيان يفقد توازنه ويخرج عن وقاره . . وثم . . لا شيء يا جناب القاضي . ان دن نيكازيو بوسعه ان يشهد بذلك .

— دن نيكازيو يقول . . — ماذا؟ هو ايضاً ، هو ايضاً ، واجد علي . انه يحملني وزر ما اقترفته . ابهذا الشكل يشكرني . .

— وعلام يشكرك . . رويدك . لا تثر هكذا . اقعد لقد بدأت بالاحتجاج بانك لا تعرف شيئاً . وها انت تعرف اشياء كثيرة . وما اكثر ما يجب ان تعرف . الزم السكينة .

— لقد فهمت يا سعادة القاضي . انهم يريدون بي شراً . يريدون ان يجروني جراً الى الهاوية حيث الهلاك والردى .

— ان ارجلنا هي التي تقودنا الى الهاوية خصوصاً اذا الحب غشى ابصارنا فاعماها . — اعني . . انجنابكم تتصورون وتظنون بان . .

انا لا اتصور ولا اظن بشيء . الامر واضح جداً . ان المحرض هو انت . ولست المحرض فقط بل و . .

— هذا افتراء واضح ايضاً يا سعادة القاضي . وتهويش للحقيقة ذاتها .

— في تلك الامسية شوهدت تتحدث طويلاً والى ساعة متأخرة من الليل الى الزوج .

— كنت اعمل جهدي كي اثنيه عن عزمه . كنت اقول له : « دع عنك الاوهام . ولا تسمم عيشك ما دام هذا هو نصيبك من حياتك . . ان هو احبها او غيره فما الفرق لديك ؟ » وكان يجيبني ويكرر القول كالمخبول المعتوه : « ربما ارضى بانسان آخر اما هذا الوغد فلا » . هذا ما كان يفوه به وبالحرف الواحد .

* يلوّح بعشيق المرأة الذي وجد مقتولاً .

— كنتما متواريين وراء منعطف الممر المؤدي الى البيت تتلصلصان.

— ومن رآني.. من رآنا..

— لقد رأوكم... هيا بنا. ان من صالحك ان تقنع نفسك وتعترف لنا بكل شيء. ان المرأة تؤكد لنا: «كانا اثنين». وانها لم تستطع ان تتبين الثاني لشدة الظلام...

— هذا جزاء من يفعل الخير... افٍ لهذا العالم الموبوء بالشرور.

— اذاً كنتما واقفين في المنعطف...

— اعني لقد رافقته الى هناك فقط. ولما رأيت اني عبثاً احاول ان اثنيه عن عزمه، وكانت الساعة تدق الحادية عشرة آنذاك، والطريق مقفرة، هممت بمغادرته مشمئزاً منه وبدون ان اودعه.

— ثم ماذا... هل علي ان اسحب الكلام بالكماشة من فيك؟

— ثم.. جنابكم تعرفون طبعاً اننا في الليل على ضوء المصباح نرى او لا نرى جيداً... بالضبط، درت وراء المنعطف ومشيت... وتركت دُن نيكازيو وقد اندفع نحو باب بيته القائم على مدخل الممر... صرخة داوية... ثم لا شيء...

— طبعاً.. لقد عدت ادراجك وركضت الى مصدر الصيحة.

— طال بي التردد وانا على العتبة... كان الظلام شديداً في (الزاروب). — هذا غير صحيح. والا لكانت عرفتكما على نور المصباح الخارجي. — كان المصباح بعيداً.

— لقد دخلتما الواحد وراء الآخر... من اغلق الباب منكما؟... لقد اغلق وراءكما بسرعة...

— ... في تلك اللحظة الخاطفة كان جسمان يتخبطان ويلهثان ... اردت ان اصرخ... ولكن سمعت بجسم يسقط على الارض جثة هامدة... وانتفضت وذعرت عندما احسست بيد تمسك بذراعي وصوت اجش يقول لي: «انج بنفسك ايها الصديق... لا ناقة لك في الامر ولا جمل.» وما كان ابعد هذا الصوت عن صوت آدمي... وهكذا شاء سوء حظي ان اكون شاهداً لا حيلة لي. في بادىء الامر ظننت بان دن نيكازيو قد قتل زوجه ايضاً. هذه المرأة العاهر. لقد لاذت بالفرار ونجت بنفسها فدخلت البيت وغلقت الابواب عليها... قرأت كل ذلك في الصحف. كان الاجدر بالزوج ان يبدأ بها. يجب انتزاع الاعشاب الضارة من جذورها... ماذا تقولون يا سعادة القاضي؟

— املي ما تقوله انت كشاهد. وسيقرأ عليك وتوقعه باسمك.

— وهل سيلحقني اذى من جراء ذلك. اني بريء. لقد قلت ما حملتموني انتم على التفوه به.. لقد اطبقتم علي بشبكة محكمة الصنع. ما اغباني من سمكة... اني بريء..

— صه! بقي علي سؤال واحد وربما كان الاهم. كيف تفسر لنا بان الجروح المميتة في المجني عليه كانت بالموسى.

— رباه. هذه خدعة ايضاً من دن نيكازيو. دعني اتذكر.. اجل ان يومين قبل الحادث.. ان الانسان لا يستطيع ان يعي كل ما يطرأ عليه في يومه او يتوقع ما سيحدث للآخرين... قصدني دن نيكازيو في حانوتي وقال لي: «يا صديقي اعرني موسى. برجلي مسمار يؤلمني». كان هادئاً جداً مما جعلني لم اتردد في تلبية طلبه ولو لحظة واوصيته: «انتبه. لا تمزح مع المسامير. ان المسألة خطرة. يكفي قليل من الدم ليحدث لك غنغرينا». «لا تخف ايها الصديق.» اجابني مبتسماً ومضى.

— لم نعثر على الموسى في مكان الحادث... فهل تكون حملته معك... — انا... ومن يدري او يتذكر في تلك اللحظة الهوجاء. كنت اقرب الى الموت من الحياة يا سعادة القاضي... اين تريدون ان تسيروا بي بهذه الاسئلة.. اني بريء بريء...

— دعك والاصرار على نفي التهمة عنك. ان اعترافاً صريحاً يفيدك اكثر من تكرار احتجاجك بانك بريء. ان الادلة واضحة ... انني افهم بأن الحب يقيم القلوب ويقعدها ويسطو على العقول ويشردها. ولكن...

— هذا صحيح يا حضرة القاضي. تلك العاهر قد ذهبت بلبي وها هي ستقودني الى غياهب السجن... وكانت كلما اصرت على الرفض كنت ازداد رغبة بها واشعر بغليان الدم في عروقي. كانت كأنها تضرم النار في كل عضو فيَّ وهي تردد كلمة: «لا لا...» لقد سبق السيف العذل... اني لا اريد ان يتعذب انسان آخر من اجلي... اجل لقد قتلته انا... كنت مسحوراً يا سعادة القاضي.. سأدخل السجن... وسأخرج منه اذا ساعدني الحظ.. افٍ للعدل على هذه الغانية. هي الآثمة الوحيدة وسبب كل بلية وشر لن تطالها يد القانون وستتركها لشأنها لتعيش بأمان وطمأنينة... اقسم لكم باني سأقيم العدل انا بنفسي متى خرجت... بيدي هاتين يا سعادة القاضي. لن افكر بغير ذلك وانا في السجن... فاذا وجدتها على قيد الحياة، ولا يهمني ان تكون عجوزاً شمطاء، سأقتص منها وستكفر عن ذنبها بغالي الثمن... وان قالت لي ساعتئذ: «لا لا...» سأقول لها: بلى بلى. وسأحتسي دمها... وعندئذ فقط اعترف تواً بالحقيقة وادخل السجن مبتسماً واموت فيه راضياً قرير العين والنفس.

مصطفى آل عبال

وجه

ما أنضره وما أبهاه وما اجمل إشراقه وازهاه .

رأيته مرة واحدة ، ساعة واحدة ، وبعد هنيهة تلفت فاذا به وقد اختفى مغيباً بين اطباق الثرى ، وتلك شريعة الحياة وسنتها . وجوه تنجاب واخرى تبدو والعالم يجتاز في كل يوم مرحلة تحول ربما الى خير وربما الى شر .

أشهدت زهرة بيضاء ، بيضاء ،تنهض على ساق ممشوقة ممشوقة ؟

أرايت لوحة مصور جلت ريشته صورة ملاك فيه من الطفولة حداثتها وبراءتها . وفيه من الفتوة قوتها وحيويتها ، وفيه من الشيخوخة فطنتها وحجاها ؟

أأبصرت غادة هيفاء يوم عرسها،جمال من الخلاق موهوب ، وفتنة من الحور مسلوبة،وقدّ يميس في غير تخاذل ولا اصطناع وحمرة تتقد في الوجنتين ، ويدان جلت قدرة مبدعهما ؟

أرايت شيئاً من هذه جميعاً ؟ لست ادري .

ولكنني رأيت ما فاق في بهائه كل ذاك . رأيت وجهاً صبوحاً لم تبرحه البسمة ساعة بدقائقها وثوانيها ، ووجهاً فيه هالة من تقى الجمال ، عليه تاج من معجزات الله ، وجهاً كأنما اعتصرت في دنه عناقيد نبيذ الحب ودار الساقي دورته الاخيرة ليفرغ الرحيق في كأس من العلقم .

رأيت وجهاً هو وجهها، ليس به عيب ولا نقيصة ، واقسم ان عيني ما تحولتا عنه فقد سمرتا اليه كأنما شدتا اليه بأشعة من الضياء لا تهتز ولا تتقطع ، وان المرء اذ يرجع بذهنه القهقرى يدرك ان ذلك الملاك كان يومذاك في ساعة « تجلية » يرسل آخر شعاع وهاج قبل ان ينطفىء السراج .

ضحك ذلك الوجه ما شاء له ان يضحك وتحدث لسانه ما طاب له ان يتحدث ، وبانت لآلىء فمه ما جاز لها ان تبين، وتهدل شعره على الخدين ما شاء له دلاله، كأنما اراد ذلك الوجه ان يبسط حسنه كله بسطاً، ويعرض مفاتنه كلها عرضاً،ويقول في تحد : من ذا يزاحمني، ومن يقدر على منافستي.

وجه

مهداة الى روح « كتينة »

العينان ، فيهما بريق مستمد من وهج الخلود وضيائه .

الشفتان ، بدعة من بدائع الخليقة لا تنطقان سوى بألحان من الكلام عذاب .

الشعر، يزري بخيوط الذهب،ويسخر من صافي اللجين ، لانه خليط من صفرة الذهب وبياض الفضة تكسوه أمواج من الاضواء المتكسرة تخطف البصر .

الجبهة ، عريضة ناصعة، لم يجرؤ الدهر على ان يخط عليها حرفاً ، فلا تغضن فيها ولا ندوب ، تشرق على الدوام اشراقاً بهياً ، فتسلب اللب وتأسر القلب .

الخدان ، تطغى عليهما حمرة محببة ،لا اثر للصنعة فيها ، حمرة رضاب الحياة ذي النشوة العارمة ، ولكنه رضاب يبعث على القداسة ويطرد افكار السوء .

الانف دقيق دقيق ، انيق انيق ، كأنما صاغته يد صائغ صناع فلا زادت حيث تقت الزيادة ، ولا انقصت حيث لا يرجى النقص ، اين منه أنف « فينوس » المقدود من الحجارة الصلاد .

ثم ، ثم حيوية دفاقة ، تكتنف الوجه بأسره،فيضحك في حبور ، ويهتز في مسرة، ويميل نشوان طروباً ، وتجول العينان في محجريهما جولات سريعة نافذة ، وتنفرج الشفتان عن ابتسامات عذبة مشتهاة ،ويترسل الشعر ترسل الشلال في عظمته، وتميل خصله ميل افنان البستان في مهب ريح الربيع.

هذا الجمال الغاصب المنتصب ، وهذا الحسن الآخذ الاخاذ،وهذه الروح الآسرة الاسيرة،وهاته الفتنة النائمة المتيقظة،وهذه النفس السماحة السمحاء ، وهذه العواطف المتأججة المتلاطمة ، وهذه النظرات السديدة الطاغية . .

هذا الجمال كله ، وهذا الحسن كله ، وهذه الروح كلها ، وهذه الفتنة كلها ، وهذه النفس كلها ، وهذه العواطف كلها، وهذه النظرات كلها .

واأسفاه،لقد دفنت هذه جميعاً بيدي.

فنفضت يدي من معجزة ظهرت هنيهة ثم اختفت ، وخلفت وراءها حسرات وكداً وقلوباً مكلومة .

القاهرة — وديع فلسطين

عرفت السر

حبيبي .. نم
على قلبي ...
سأكرع خمرة الدنيا ..؟؟
بإيماني
وقيثارك

حبيبي نم على قلبي لهجر العالم السفلي
ورقص الجدول الحيران في الغاب بلا عقل .
وبعث الريح للاموات .. يروون عن الجهل
لقد قامت هنا الاصنام تهدي الضائع الفاني
بأوصاب وادران الى عالمنا الثاني ..

ستمضي
مثلما جاءت
بنهر الموت موجات
جهلن السر
يا قلبي

الى عالمنا الثاني .. ومن عالم ألحانك ..
عرفت السر ان السر ان اشرب من حانك؟
فهات وخذ وهات وخذ خموراً بين اجفانك
ستمضي زهرة الوادي ويبكي كل افنان؟
ولكني بأوتاري والحاني وخماري

سأشدو
في خميلات
وأتلو بين غابات :
عرفت السر
يا قلبي

الى عالمنا الثاني .. وما هيكلنا السحري . ؟
يقول البحر لا ادري وتهوى النفس ان تدري
ولكني وان اغمضت عيني فلا أدري ...
وروحي في السما ترنو الي كعاشق فان ؟؟
رأت روحاً على طين غدت روحاً بلا طين

ومطلقة
بلا قيد
تغنى في سما الخلد :
عرفت السر
يا ربي

عرفت السر ان السر بين الراح والمقله ..
وفي خمارة الاحباب تسقيني بلا مهله ..
وسر الكون في شفة وفي نهد وفي قبله ..
فخذ قلبي ونم فيه وأترع كأسي الثاني
فان البحر لا يدري وان النفس لا تدري

بأن السر
في الخمر ..
وفي مضجعنا السحري
وفي نهدين
يا قلبي ..

فيا خلدي وما خلدي ..؟ سلام انت يا خلدي
ويا ديني وما ديني ..؟ مدام انت يا ديني
ويا ربي وما ربي ..؟ حبيب انت يا ربي ..
سأشرب ذا والثم ذا وافني بين الحاني
فان النور يهواني ودن السر في الحان

بِسمهم :
قطرة النور
ستشربها مع الحور
عرفت السر
يا ربي ..

حبيبي نم على قلبي .. بعيدين بعيدين
عن الحوب عن العالم عن تيه المساكين .
فيا ويح المجانين .. يطوفون بلا دين ..
وعشون كعبدان الى محراب نيران ..
يصلون ، يريقون ، دماً يسجد في الارض

ليتلو
آية الجهل
ويدعو الناس للعقل
وللايمان
يا قلبي

عيون هوى وقلب هوى ووجه سنا وروح عذاب .
وخمر ذاب في كأس كأن الهة تنساب ..
عشيق الروح ان الروح في الوادي بغير رباب ..
أنلني القدح الفضي كالفردوس نوراني ..
واترع قلبي الحاني الى مخدعنا الثاني

ستمضي
مثلما عصفت
رياح النار واندلعت
فات الكل
يا قلبي

بغداد

علي سلمان

قمر

قلت للبدر . . وكان الليل بالاحلام يغري
وعلى الافق . . تهادى الغيم : . كالتائه يسري
ايها السابح في دنياك والايام تجري . .
آه لو تدرك انت اليوم . من يشغل عمري
انت من نورك يصحو الزهر في سفح الهضاب
والورود الحلوة البيضاء ترنو في الروابي . .
انت تبدو املا يشرق ما بين الضباب
او كحلم ناعم يُبعث من خلف السحاب
غير اني قد وجدت الآن من بعد اغترابي
قمراً غيرك . . يهديني . ويوحي لشبابي
فاذا الفيتني اشدو وقد انسيت دهري
فانا من خمرة عينيه شربت اليوم خمري
كل من في الارض يلقاك بألحان المساء
باسم الثغر طروب النفس مبحوح النداء
انت في عرشك من حوليك اكوام الضياء
تملأ الدنيا . . فيمسي الكون فتان الرداء
وانا يملأ دنياي . . ويهفو لهنائي . .
قمر غيرك . . في عينيه حلم الشعراء
كلما لاح . . يهز الحب . . والاحلام صدري
بين اهدابه . انغامي . . والحاني وشعري
ايها الشارد كالعاشق في الاجواء تسري
ان سحر الليل . . بالاحلام يغري . .
انما . . لن تعرف الليل من يشغل عمري
انه سري . فهل يرضيك ان تدرك سري ؟

دمشق عبد الكريم السمان

دنيا شاعر

ما كنت احسب ان يطول تدلهي في مقلتيك وان تذوب محاجري
او ان يظل الشوق يلهب اضلعي والضمة البيضاء شغلة خاطري
او ان تظل على فمي محمومة تلك الثمالة من طلاك الساحر
او ان تظل خواطري مسحورة تهفو لعهد من حنانك غامر
او ان تظل الذكريات خوالداً فيها اريج من صباك العاطر
انا يا حبيب لطيب عهدك ذاكر ولئن نسيت ولم تعد بالذاكري
انا من عصرت على عهودك خافقي وسفحته دمعاً يذوب بناظري
انا من احالك في الدنى انشودة ستظل في الاسحار سلوى الحائر
فيمن اجال على عيونك فتنة حوراء لا تعصف بقلب عاثر
أفكلما ارسلت قلبي آهة منغومة ذهبت حديث السامر
لملمت اذيال الدلال وقوضت آمالي الزهراء — نظرة ساخر
ومضيت . ألا ترثي لمن حطمته وهمست : هذا الوهم دنيا شاعر !

مكة عبد العزيز الرفاعي

ظل

هكذا يمسح الظلام رؤايا ! ويجف الحنين بين الحنايا !
هكذا ، والربيع أنور ، في قلبي ، ودفء الحياة ملء دمايا ،
يزحف اليأس ، لا أغاني خضراء ، ولا طيب موعد من منايا !
ألى غير عودة . ذهب الامس ؟ احقاً . ؟وراح حلمي شظايا ،
وتلاشى ، دون المدى ، كل شيء غير ما خلف اللظى من ضحايا ،
ايها الظل ، يا خيال تراب انا ضوأته . فكان سنايا . !
يا رخاماً ، من مقلع الموت ، اغدقت عليه الوان روحي عطايا :
أطفىء النور واضمحلت رغابي فانضب الآن او انتحر في دجايا !
وليكن من موات قلبي قبر لك تحتاطه زهور الخطايا .

بغداد محمود البريكان

الراعي

نفث الروح في حشا مزماره فتلتها ارتعاشة في قراره
فتهادى القطيع عن جانبيه تاركاً خلفه ازدحام غباره
ولحون المزمار ترتع في السهل وتختال في ذهول قفاره
والمروج الخضراء جلببها البرد فلاحت تهتز في مضارة
واحمرار الآفاق بالشفق الوردي يغري فؤاده بافتراره
وسنى الفجر ينتضي من حشا البلبل لحناً يضيع في منقاره
وانبثاق الصباح من مشرق الارض تبارى يختال في انوارة
وهو بين القطيع مثل مليك يتهادى مكللاً بفخاره
سار في القفر يرمق الخصب من بعد فتمحو الانغام من اكداره
يتلهى بامنيات من الحب عذاب يطعن في افكاره
فيهز المنى بنفخة مزمار ترد النشيد قبل انهياره
ويحث الرؤى فتظهر اسراب الصبايا تختال في ابصاره

حاملات جرارهن الى العين   يزهو الصبا ودنيا بهاره

راتعات في غمرة من شعاع الحسن راحت تنشق عن انظاره

كاعب توسع الخطى نحو ورد   فيه اخرى تنسل من اصداره

وفتاة تظل حيرى فلا تسطيع ورداً الى سخي غماره

وهو يقتات من صباهن حلماً   يتعرى المدى لدى اسراره

وصل المرج حيث لاحت من الكوخ كعاب كالبدر فوق مداره

يشرق البدر من سناها ويبقى   عن حياء ينسل طي احمراره

تملأ النفس بالفتون فيطغى   طافحاً يحصر المنى في اساره

رفع الطرف نحوها وهومنها   يتلظى على جهنم ناره

وغدا ذاهلا ينمق حلماً   قرمزي اللألاء عند انتشاره

وضنين بجاهه كبخيل   مهرق روحه على ديناره

ثم ألوى هوى بنفخة مزمار   تريق النشيد حتى انهياره

تبعتها ارتعاشة من سكون   تنشر الصمت في رحاب فراره

ايهذا الراعي اتبقى شريداً   ملقياً صاحب المنى لشجاره

لست انت الوحيد في ذهله   العاتي ولست الوحيد في تسياره

كم حزين القى الى الحلم افكاراً   حيارى تنم عن اوطاره

سار في الارض والاماني قطيع   يتهادى كالصبح في اسفاره

ايهذا الراعي كلانا حزين   يتمطى الشقاء في اقداره

دمشق   نسيب شبع الارض

لمحة

يجيش بالنفس شعر   يكاد يُعلى عليا !

فيومض الوحي حتى   يشع شيئاً فشيا ،

ويستمد خيالا   رؤاه تومي إليا ،

ويشرق الفكر حتى   ارى المثال سويا ،

فتنتشي فيه نفسي   وقد تكامل حيا ،

وتطمئن اليه   منغماً عبقرياً !

ينساب في كلمات   تجري على شفتيا

موقعات رقاق   تشيع نغماً قوياً !

وهبت للشعر نفسي   فكان في اصغريا

بغداد   ابراهيم عوبديا

من انت

لم انت غبت ولم تعودي   وذريت يا املي عهودي

وسخرت بالماضي وبالآ   مال تزخر بالوعود

وحطمت كأسي فوق آلا   مي واذويت ورودي???

بالامس كنت هداك في   المسرى، ازفك لحن عودي

اسقيك من دمعي الحنان   ومن دمي متع الوجود .

من انت يا اخت الجفا   هل انت الا بعض جودي؟

طيبت عمرك بالوفا   وغمرت عمري بالجحود .

من انت إن لم املأ الآفاق باسمك في نشيدي ؟

واصوغ الحاني فينقلها   القريب الى البعيد

فتفيض في الربوات ، في الشطآن ، في الافق المديد

والطير ينهل لحنها   ويهيم في النغم السعيد

تهتز باسمك كل اجوائي   فما لك لم تعودي

من انت من نادى بحسنك   عندما ناديت ... نودي

لا يغررنك خلودك الموهوم   في العيش الجديد

انا ربك الخلاق يأتيك   خلودك من خلودي

انا ربك الخلاق، ان اقصد   دفعتك للحود

وجعلت منك خرافة   يلهو بها نم الحسود .

قلبي يغذيك الرضا ان   عدت للماضي فعودي

رودي وغني فالحياة لنا   برب الحب رودي

انا لست من هذي الدنا   لاعيش مثلك في القيود

وتضيع ايامي هباء   في الشقاء ، مع العبيد

الشعر يسمو عن حدود   الناس ، يهزأ بالحدود

عودي اذا شئت وطيري   واسعفيني في شرودي

وامضي معي وثابة عجلى   حياتي في صعودي

كامل العبدالله

البرعم العاري

مهداة الى الاستاذ امين نخلة

يا برعماً حبسوه تحت غلالة   ضاقت ، فمزقها وراح يزمجر

فحنا عليه الفجر يسكب روحه   قبلاً يشيع بها الربيع الاكبر

وانسلت الانسام في عطراته   هوجاء ، تسترق العبير وتنثر

وترنح النظرات في وثباته   سكرى خليعات العنان تثرثر

فيثور محموم الرغاب الى السما   ويهزه ترف الدلال فيسخر

يا برعمي — والعمر ملعب لذة   نلهو — كما شاء الجمال — ونسمر

رؤياك زوبعة الضياء على يدي   يأتمها قلبي ، فيشمخ عبقر

وضميمة المرجان رحت اضمها   غزل الهوى فأذوب فيما اعصر

طرف مجنحة النعيم شهية   عصماء ، يسبح في سناها الكوثر

صعدت فيها الروح هائمة المنى نديان اعتصر الحياة واسكر

طرطوس

محمود نفره

غد مبهم

سمعتها تغني : — غداً ، نلتقي يا زمان ونترع بالحب كاساتنا

***

سمراء ! ! قالوا ، انني مغرم ،
قالوا بأني عبقري الهوى ،
انت، اجل،انت الشعاع الذي
وانت !! لوتدرين ؟ بوح الشذا
وخفقة القلب ، اذا شاقه
ورفة الهدب ، اذا مـا التقى
وهمسة النور ، الى زهـرة
توشح الانـداء اوراقهـا
سمراء !! قـالوا انني شاعر
في ظل هدبيك، تراءت دنى
وفي لماك ، الف لون طلي
نظمت من عينيك شعر الصبا
ومن سواد الشعر ، احبولة
اصيده ، من بسمة عذبـة
لا تبعدي عينيك عن ناظري
ففي مدى عينيك ، ارجوحة
ان غبت عن عيني ، فأنت الردى ، او انت احلامي التي احلم
سمراء !! خلينا نلف الدنى
اذ تقفر الدنيا ، ويفنى الورى ،
نحن !! نشيد الحب،ذوبي معي

وانني ، وحدي — انا الملهم
وانت ، يا سمراء ! ! لي توأم
يضيء لي دربي ، فلا تظلم
ونفحة السر ، فـلا يكتم
وحي ـ الى لقيا الهوى ـ مبهم
ثغر ، على ثغر ، واهوى فم
عذراء ، تخبوء بها البلسم
وتختبي في فيئهـا . تسلم
وانـك الشعر الذي انظم
وغابت الاقمار ، والانجم
يضج فيها الورد ، والبرعم
فكان احلى ما روى مغرم
قد حكت ، للالهام، اذ يلهم
من ثغرك المعسول اذ يبسم
يفوتني السحر ـ الذي ينعم
للوحي ، روحي فوقها ، تجثم
بالحب ، من يدري؟غداً نندم
والحب .. لا يبني ، ولا يهدم
في غمرة (الآن) . . غدي مبهم

صافيتا ـ اللاذقية

محمود عيسى

الى شبيبتها

ايها الموقظ بي في الشيب احلام الشباب
ايها الموقف شمسي في انزلاقات الغيـاب
يا التفات الامل الهارب عن دنيا التراب
نبهت عينك في نفسي احلامـاً دفينه
يوم كانت فرح الدنيا ليالينـا الثمينه
واغانينـا على الافق هدوءاً وسكينه

لوّحي بالحسن في عرس الربيع المقبـل
واشري البهجة والاعياد حول الجدول
امسحي بالورد والاطيـاب وجه الامل
ازرعي الفتنة والاحلام في درب الشباب
قبل ان يكتسب السفح وتكمد الروابي
ويمد الهرم الآثم اشباح الضبـاب

سليمان نصر

دمشق

دمشق
ضياء ، وحق
وظل وسيف يسل
ترعرع بين يديها . . . الزمان
وشاب الخلود ، ورف الحنان
فكان الهدى ، وفجر الندى
شراع
ندي الشعاع
يرف ضحوكاً ، ويغفو
بجز الوجود، . فيرنو اليه ،
وظل السجود ، على مقلتيه ،
رفيف الامل ، يجي الشمل
ربيع
طليق ، وديع
يموج ، فتحيا المروج
تزين مفرقها العبقرية . . ،
بأنداء مهجتهـا اليعربية
وتحنو عليها ، على مقلتيها
ليالي
وراء الخيال
تحوم ، عليها النجوم
وتحرسها للغد ، الارحب
شعاع افترار المنى الطيب
اليها الفؤاد ، جناح . . وزاد ! !

دمشق

محمد شمس الدين

بين احضان تدمر

حدثيني يا زنوبيا عن مجاليك العذاب.
حدثيني عن ليالي الانس في دنيا الكعاب
حدثيني عن جلال الامس كم طال ارتيابي
حدثيني حدثيني انت لا تدرين ما بي ! !

كيف حاربت واخضعت الزمانا .؟!
فرمى الدهر اليك الصولجانا !
ثم ملكت فعز الملك شانا
انت طيف لم يكن قبل فكانا !
هل زهت تدمر في ظلك والظل مديدُ
اشرقت فيها على الدنيا رؤى منك تزيد
إيه والماضي كما شئت زنبيا لا يعود
انت من انت.؟ القد لاح بكفيك الخلود
كلما وليت وجهي شطر امسي
اطلق الآهة في شجو ويأس
ما مضى حلم بدا في ليل نفسي
وانقضى والدمع عنوان التأسي
تلك ايامك يا فاتنة الدنيا تاوحُ
في هواك الفكر قد مال له قلب جريح
جرحته ذكريات كلما شاء تبوح
شهد الليل بأن المجد لا تمحوه ريح
انا في حلمي وفي افق هيامي
انا في وهمي وفي دنيا غرامي
شعشعت فيه زنوبيا كالمنام
ومضت حلماً بدا وهماً امامي

دمشق

عمر حلبي

محال يعود..

حنانيك نفسي إلام الانين ؟ تثاءب ليلي وما ترقدين
ويأتي الصباح وما تبسمين وتشدو الطيور وما تنصتين
حنانيك ما للأسى لا يلين؟؟ وما لدموعك لا تستكين ؟
أأنت التي كنت لا تأسفين وانت التي كنت لا تهدئين
حنانيك انت التي تشتكين ؟ وأنت أأنت التي تيأسين ؟
ألم تحفري انت قبر الشباب؟ ألم تحث كفك فيه التراب ؟
اما تذكرين ولون السحاب حزين يذكرني بالمصاب
الست التي سممت قلبي العذاب؟ وجرعتني من دموعي شراب؟
الم تركضي انت خلف السراب الم اقفُ خطوك ؟ يا للعذاب
اتنسين؟ مازال صوت الغراب حزيناً يذكرني بالمصاب
حنانيك كم تذرفين الدموع ؟ بكاؤك يا نفس يدمي الضلوع
يمر الهزيع .. ويأتي الهزيع وعيناي تستشرفان الطلوع
وتستفهمان وميض الشموع اما لصباح مضى من رجوع؟
امال.. ؟ولكن ضوء الشموع يموت ويبقى السؤال المروع
صدى هامساً في حنايا الضلوع محال يعود.. وتهمي الدموع

بغداد

عبد الرزاق عبد الواحد

نظرة منك..

نظرة.. في انعطافها رقة النجوى، وفي نورها بريق الاماني
ذاب في مقلتي منها شعاع ومعان خفية في جناني
وجرت في مدافن القلب اعطاراً، وفي وحشة القنوط اغاني
نظرة منك فجرت في شعاب النفس درباً لصبوتي المسجونه
وجلت غيمة من الشك عن قلبي، وظلّا من امسيات حزينه
واعادت نور اليقين لقلب بددت ظلمة القلوب يقينه !
نظرة منك.. اي دنيا من الاخلاص والعطف والرضا والتفاني؟
علمتني ان السعادة ومض من حنان تسخو به مقلتان
علمت قلبي المحير سراً ضل عنه فكري وعي لساني!

بغداد

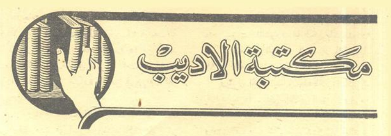
رشيد ياسين

اوام

أيا نسمات الصبح هي لطيفة تنشقت طيبا محييا منك عبقه
تمشيت برءاً في عروقي كما مشى هوى كلما شط المزار رأيته
فؤادي له ملك، وما من منازع ولم يتسع الا اليه، كأنه
اذا الليل آواني، وأبت لمضجعي وفي يقظتي اما جلست بمحفل
هو الغاية القصوى التي في قرارتي هو الملهم الواحي لقلبي وخاطري
فلولاه ما انشأت بيتاً، ولم يكن اذا انحسرت عنها الرزايا رأيتها
اهل عودة لي يا زمان لمربع وهل نفحة لي من هواه وشمة
ومن جرة الحسناء انهل شربة
كطبع حبيبي، واذهبي بسلامي
كانفاس من خصصتها بغرامي
هواها، وامسى في دمي وعظامي
كظلي ورائي حاضراً، وامامي
لمالكه حتى يحين حمامي
سرير مليك او قراب حسام
اراه نجيي حاضراً بمنامي
يكون نديمي او مزيج مدامي
هو اليسر عندي باقياً او حطامي
وجبريل، نفسي، قبلتي، وامامي
هيام القوافي الخالدات هيامي
طيور حمام، او بدور تمام
جعلت سريري عنده وخيامي
تكون دواء ناجعاً لسقامي
ابل بها بعد البعاد اوامي ؟

السنغال

محمد يوسف مفلد



التطور الخالق

لبرغسون – تلخيص بديع الكسم – دار الفكر العربي – مصر

منذ زمن ليس ببعيد ، اصدرت دار الفكر العربي للطباعة والنشر في مصر كتاب التطور الخالق ، لهنري برغسون، وقد لخصه وعرضه الاستاذ بديع الكسم ،مدرس الفلسفة في تجهيز اللاذقية، وهذا الكتاب هو الحلقة الاولى من سلسلة « الكتب الرئيسية في الفلسفة المعاصرة » التي انتوى الاستاذ الكسم اصدارها بعد ان هيأ عدة حلقات منها،نذكر على سبيل المثال«دوركايم»و«بارودي» .

والاستاذ الكسم معروف في اوساط الجامعة المصرية وبين اساتذتها ويعتبر من القلائل المعدودين المطلعين على الفلسفة واتجاهاتها اطلاعاً شاملاً ، عدا متابعته للتيـارات المعاصرة ولاحدث ما يصدر عن المؤلفات الفلسفية في الغرب .

ومما لا شك فيه ان المكتبة العربية فقيرة فقراً مخجلاً بالكتب الفلسفية وانها بحاجة الى حركة ترجمة واسعة النطاق ، لم تظهر بشائرها الا فيما قام به بعض الاساتذة امثال الدكتور عبد الرحمن بدوي ، والاستاذ سامي الدروبي وعبدالله عبد الدائم ومحمد مندور وغيرهم .

والمشروع الذي بدأه الاستاذ الكسم ليس ترجمة بالمعنى الصحيح، وانما هو عرض وتلخيص قد يفضل الترجمة في نواح عديدة اهمها انه يعرض الاتجاهات الرئيسية في الفلسفة المعاصرة بخطوطها الكبرى وفي امهات مصادرها،فيوفر على القارىء مؤونة الدخول في التفاصيل الدقيقة التي يمكن الاستغناء عنها ، دون ان يفقد شيئاً من الجوهر ولب البحث، اما الفائدة الثانية،فهي في ان هذا العرض والتلخيص اسرع من الترجمة التي تتطلب وقتاً اوسع مما يمكن معه ان لا يتاح للمكتبة العربية ان تحتوي كل هذه الاتجاهات الا بعد سنين طويلة .

ثم ان هذه السلسلة الى جانب كل هذا سهلة المتناول من ناحيتين : صغر الحجم مما يوفر مطالعة طويلة تصرف في اطلاع على لون آخر ومظهر جديد من مظاهر الفكر، ورخص الثمن مما يساعد جماهير المثقفين من الشباب ، على الاطلاع عليها واقتنائها بيسر تام . ولعل هذه السلسلة تشبه من حيث هذه الفائدة التي تؤديها والتي اشرنا اليها ،سلسلة : ماذا اعلم؟ Que sais-je التي تصدرها باللغة الفرنسية دار الطباعة الجامعية في فرنسا Presses universitaires والتي يتولى المساهمة فيها كثير من كبار اساتذة الفلسفة ، امثال « فيليسيان شاليه » F. Challaye وغيرهم ، غير ان هذه السلسلة الفرنسية ليست قاصرة على الفلسفة، وانما تتعداها الى الفنون والعلوم بما يجب ان ينشأ امثالها في اللغة العربية .

اما كتاب «التطور الخالق» L'évolution créatrice فهو من امهات كتب « برغسون » التي تمثل اتجاهه الحيوي وفكرته في التطور المفاجىء والقفزات التي يعارض بها الاتجاه المعروف عن الفلسفة التطورية واتجاهها التدريجي .

ولقد سبق للاستاذين سامي الدروبي وعبدالله عبد الدائم ان عربا كتاب «منبعا الاخلاق والدين» الذي تجلت فيه فلسفة برغسون الاخلاقية ، كما ان الاستاذ سامي الدروبي قد عرب كتاب الطاقة الروحية ، وسبق لنا ان عرضنا في عددين من مجـلة الاديب ، مختصراً للالزام الاخـلاقي وللدين عنـد برغسون ، ويجيء جهد الاستاذ الكسم فيضيف الى ما صدر عن برغسون ، هذا الكتاب الذي هو حلقة ضرورية لا بد منها .

ولقد توخى الكسم الدقة في الترجمة في بعض المواضع ،واذكر منها كلمة Créateur . فالشائع الذائع ، ان تعريبها يكون بكلمة «مبدع» وعندما ناقشته في الامر اصر على كلمة «الخالق» واستشهد لذلك بالفلسفة الاسلامية ، ومما قاله ان كلمة ابداع تعني خلق شيء من لا شيء ، بينما كلمة « خلق» تعني خلق شيء جديد من شيء موجود ، وهذا هو المقصود منه بالمعنى « البرغسوني ». اما المقدمة عن حياة برغسون وفلسفته فقد جاءت شاملة وافيه بالغرض المنشود، وقد استعرض فيها مؤلفات برغسون وتكلم بشكل مختصر عن فكرة كل منها .

ولعل الفصل الاول والثاني هما امتع ما في الكتاب من حيث قوة العرض وبساطته في وقت واحد ، والفصل الثالث الذي يبحث عن الطبيعة وصورة العقل ، هو اكثر مشقة وخصوصاً لمن لم يألف المطالعة الفلسفية من قبل . وهذه الصعوبة تتجلى بشكل واضح في

كتاب برغسون نفسه ، مما يجعله صعب المتناول حتى على المتعمقين في المطالعة الفلسفية .

والكتاب بصورة عامة جيد، ونأمل من الاستاذ بديع الكسم ان يستأنف نشاطه ويتابع سلسلته خدمة للفكر وتيسيراً لسبل المطالعة امام الناشئة المثقفة .

اللاذقية جلال فاروق الشريف

صراع

للاستاذ شاكر خصباك – ١٨٨ صفحة – دار الفكرة – القاهرة

(صراع) مجموعة من القصص العراقية اخرجها صديقي الاستاذ شاكر خصباك ، والظاهرة الفنية الاولى التي تلفت نظر الناقد ، عندما يجرب هذا الناقد معرفة موضوعات هذه القصص ، او معرفة اشخاصها ، هي (الواقعية) التي تطبع هذه القصص بطابعها الخاص ، اي قربها من الحياة المحيطة بمؤلفها ، الحياة اليومية بجوانبها واشخاصها ، الحياة العادية التي ينقلها المؤلف عن مجتمعه ، المجتمع العراقي .

واما موضوعات هذه القصص ، وبالتالي اشخاصها ، فهي مثلاً فتاة عفيفة تجرها ظروف الرذيلة الى امتهان الرقص والبغاء ، كما في قصة (صراع) ، او امرأة تخون رباط الزوجية لاهمال زوجها لها غريزياً ، كما في قصته (بداية النهاية) ، او فرطة تضحي بعفافها من اجل ضمان العيش ، كما في قصته (سبيل العيش) ، او طفلة ، هي وحيدة ابويها الموسرين ، تطرد خادمها لانه اساء الى كلبها الصغير ، كما في قصته (بوبي) ، او فتاة انتهى بها الزلل في الاثم الى الموت ، كما في قصته (ثمن الخطيئة) ، او قروي يقتل راقصة بغدادية تطرده من دارها بعد ان تشعر بان دراهمه نضبت كما في قصته (خبر في جريدة) وهكذا ؛ فما نتبين معه الآفاق التي يجول فيها مؤلف هذه القصص ؛ وهي آفاق الحياة اليومية يتناولها باسلوبه القصصي الجميل .

وانا ، اذ اقرر هذه الظاهرة الفنية الاولى لهذا الكتاب ، وهي : واقعية هذه القصص ، لا يفوتني ان اقول فيها ، انها ، في الحقيقة ، لم تهزني !! ولست ادري ، ان كان هذا راجعاً اليها ، ام انه يرجع الى استئثار الرمزية بي وباحكامي واقوالي ! . الا انني رأيت ، بعد كل شيء ، ان الذي يعطي هذه القصص قيمتها ، انما هو توفير الجانب السيكولوجي لها ، اي حرص مؤلفها فيها على استقصاء تحليل نفسيات ابطاله !!.

بل ان هناك في الكتاب قصصاً ، قد لا يعتبرها القارئ العادي قصصاً ، تقوم فقط على هذا التحليل السيكولوجي : مثل قصة (عجيب) التي تصور احلام فقير شحاذ من فقراء بغداد ، او قصة (عذاب) التي تصور تأنيب الضمير ، عند اناني قتل نفساً لم ينقذها من الغرق ، او قصة (احلام الشباب) التي تصور اوهام الشباب وحركات هذه الاوهام في انفسهم ، او قصة (بداية النهاية) التي تصور عذاب الجوع الغريزي عند امرأة ، وهكذا ، مما يخلو من طرافة الموضوع او من الحبكة القصصية !!

واما هذه التحليلات السيكولوجية في بقية القصص ، فهي ، في الحقيقة ، الجانب الفني الذي يعطي هذه القصص قيمتها ؛ وهي كثيرة ومتنوعة ، تملأ الكتاب : منها مثلاً ، نفسية الابوين الموسرين تجاه وحيدتها وخادمها وكلبها ، كما في قصة (بوبي) ومنها ، نوع هذا التصريف الجنسي الذي نجده في قصة (صراع) عندما نرى فاطمة ، وهي عفيفة ، تلجأ كي تشبع فيهما الغريزة الظامئة بزوجها العجوز ، الى اصطفاء طفل وسيم ، لا يفهم من امر الغريزة شيئاً ، لتضمه الى صدرها وتقبله « في لبسة المتفضل » وهكذا من تخيلات تعطي هذه القصص قيمتها الفنية في نظري .

بل ان هذه الناحية الفنية — اي كون المؤلف يعنى بالتحليل السيكولوجي لنفسيات ابطاله اكثر من عنايته باختبار موضوعات قصصه — هذه الناحية قد اثرت في اسلوب هذه القصص نفسه ، هذا الاسلوب الذي نراه اسلوباً سهلاً ليناً ، هو اسلوب عرض وتحليل ، اكثر منه اسلوب مفاجآت وعنف .

وعلى كل حال، فانا اذ اشير ، في نهاية هذه الكلمة ، الى ان في الكتاب مقدمة قيمة بقلم الاستاد عبد المجيد لطفي، لا انسى ان اشكر صديقي الاستاذ شاكر خصباك على اهدائه كتابه هذا الي، واتاحته لي فرصة التنقل معه هنيهات لذيذة، في هذه الاجواء العراقية والنفسانية ايضاً ، المتنوعة . .

القاهرة عدنان الذهبي

الكوميديا البشرية . . .

للاستاذ اكرم فاضل – ١٢٠ صفحة – مطبعة الرشيد – بغداد

تصح ان تسمى حياتنا اليومية بـ (الكوميديا البشرية) . فعيوننا تطالع كل يوم بل كل لحظة وساعة مناظر دامية في بؤسها، مضحكة في اوضاعها . واذا ما خلا الانسان منا الى نفسه ، واستعرض ما مر به ، لضاق بها فكره وتأثرت لحوادثها روحه .

ولعل من الصعوبة على المرء ان يسجل كل هذا ، ويتحسسه اذا لم يكن مالكاً لرقة الشاعر ، وبراعة الكاتب ، واساوب الصحافي ، لكي يجمعها ، ويرتب حوادثها ، ويقدمها لنا في معرض الحياة ، ويقوم بتمثيل ادوارها على مسرح الوجود ..

والاستاذ الشاعر الصديق اكرم فاضل من شبابنا المصورين بشعره ، يستمد مادة تصويره من حيـاة محيطه ومجتمعه وشعبه ، ويغمس ريشته في جراح قلبه ويمزجها بدموع عاطفته ، ويضع ذلك في بوتقة وجدانه ، ويستخلص منها قصائده ويقدمها للناس :

بيدي ريشة فنـان جـا	ارسم الظاهر منكم والخفاء

ومسرح ديوانه مقسم الى ثلاثة فصول :

الفصل الاول : ويحتوي على (٤٧ منظراً « قصيدة ») والبارزة منها : الكوميديا البشرية) (والحب اقوى من الموت) (وصنم فاجر) :

فيا زمـان الجهل والـ	ظلم مـتى تزول ؟
ويا لسانًا سـاكتًا	مالك لا تقول ؟
الشعب مخدوع بـأمـ	نام لهـا عقول ؟

(بخيل) :

ايهـا الحائر في ثروته	لا ينـام الليل الا موهنا
عميت عينـاك كم يوسفني	ان ارى عيشك غمًّا مزمنا
غارقًا في الماء لكن ظامئًا	سابحًا في النور اعمى اعينا
كل شيء طوع كفيك اذا	عفت هذا البخل : هذا الوثنا
ايها الناس انظروا سحنته	انهـا ذابلة توحي الضنى
اين عيناه هما قد غارتـا	وخبـا كل شعاع وسنى
ان يكن يشقى وهذه حاله	في الغنى يرعى فما بالي انا ؟
خرق بـاليـة كسوته	نلعن الخيـاط عما قد جنى
لم تقع عيني عليه ضاحكًا	ابدا بل كالحًا محتقنا
يذرع الارض نهارا ، راكبًا	قدميه ليذيب الزمنـا
فاذا ادركه الليل انزوى	ساهرا مفتكرا حاقنا !!!
انا لو كنت عليه حاكمًا	كنت لا اكسوه الا كفنا !
وانادي كلما شاهدته :	ايها الناس انظروا فقر الغنى

(مصرع المصلحين) وهي عن لسان الحيوانات :

انما العيش رأفة واخاء	وسلام ورحمة مستـدامه
ان حرية الشعوب ورود	سقيت من دم الشعوب المضامه

وهناك — (طفلة فرحانة) و (ضحية) و (الصورة الاولى) و (راقصة) :

. وحياتنا هذي مغالطة ومن	قد شذ عنها عاش رهن شقاء

و (مولد النور) :

سنبدأها حيـاة من جديد	اذا طالت بنا هذي الحياة
ونجني ما غرسنا من جهود	وعند القطف يبتهج الجناة

و (اليقظة) و (دموع البائسين) و (يبايعونه على بذل الخناجر)

و (يتلذذ بمناظر البؤس) و (صباغ الأحذية) و (الشعب) :

نفض الكرى عن جفنه	وصحا على ضوء النهار
شعب تنـاوم حقبة	ممـا يكابد في الاسـار
شعب برغـم قيـوده	كم ضج بالشكوى وثـار
فـاذا استنار بوعيه	لا تسألوا : كيف استنار ؟

اما الفصل الثاني وهو (الريفيات) : وعددها (١١) قصيدة منها (حياة) و (زفرة) و (ضريح الاحياء . بيتي) و (منزل الفلاح) ، يحتوي على ثلاث قصائد ، من وحي الوثبة الوطنية سنة ٩٤٨ (الحمال الشهيد) و (بنت المبغى) و (شهيد المظاهرة الاخيرة)

فيا ايها المقتول غدرا وغيلة	دماؤك ري للكفاح وقوت

وقــد قدم الديوان الاستـاذ القصصي العراقي المعروف ذو النون أيوب . اما الاهداء .. فلم يكن لشخص كبير ، او لزعيم خطير ! بل « الى الحبيب الذي اذاقني لذة التعاسة ، الى الثور العزيز الذي كان يلحس وجهي ، وانا هاجع فوق سريري ليلاً ، في الريف ، اهدي هذا الخوار الموزون » .

ونحن لا نلوم الشاعر ، اذ انه قضى زهرة شبابه بين مختلف الطبقات ، وانواع البيئات ، في المقاهي والملاهي ، والمدارس والمعاهد ، والريف والمدن ، والبيت والسوق ، والانسان والحيوان . متنقلاً هنا وهناك ، يلتقط همسات المحبين ، ويسجل آهات المحزونين ، وينتقد تصرفات البطرين المتكبرين ويتغنى ببطولة المجاهدين العاملين .

ويواسي افئدة المنكوبين من ضحايا المجتمع . لا يفرق بين قصر وكوخ ، طـاهر وبغي ، وضيع ورفيع ، كلهم اخوانه في الانسانية ، والمشاعر الوطنية ، صريح ، ناقد ، فطن ، اما النواحي البارزة في شعره فهي التجدد وروح الفكاهة المرحة ، الممزوجة بالنقد اللاذع ، والبساطة في التعبير ، وسلاسة الاساوب ، مع قلة الاعتناء باللغة والمفردات ، والبلاغة والبيان . والقواعد النحوية . وهو ذو طريق يختص بها لنفسه ، ويقربها الى لغة الشعب الدارجة بشعره ، متأثر الى حد بعيد بالاستاذ الكبير الشاعر (ابو ماضي) وبشاعرنا الكبير الاستاذ الصافي وشاعر الشعب (بحر العلوم) . ولايسعني في النهاية الا ان اقول : مرحى للشاعر الصادق في تعبيره ، والخالد لنفسه القريبة من المجتمع ، والبعيدة عن مجاهل المعميات ، واجواء اللانهاية الحالمة . بينا غيره يرقص على القبور ، ويتغنى في مآتم الشقاء . وسنطالع قريبا ، ديوان الصديق الفاضل (في المقاهي والملاهي) الذي نأمل ان يكون كشقيقه الاول وصنوه ، مادة وموضوعاً ، وفكرة .

نزيل لبنان — محسن جمال الدين

جولة الأديب في شهر

الشاعر جورج صيدح

• ينعى وهو حي يرزق •

☆

تلقينا بالبريد الجوي من الارجنتين صفحتين من الجريدة السورية اللبنانية وجريدة السلام وفيهما تفاصيل الحادث المؤسف الذى وقع لصديقنا الشاعر الاستاذ جورج صيدح، وصدى هذا الحادث في نفس الشاعر ونفس رفيقنا وصديقنا الاستاذ الياس خليل زخريا فرأينا ان ننقل الى قراء الاديب ما نشر في الجريدتين متمنين للشاعر المبدع العافية والسعادة :

☆

منذ عشرة ايام وقع لشاعرنا الكبير الاستاذ جورج صيدح حادث مؤلم لم نشأ ذكره في حينه نظراً لخروج الشاعر من هذا الحادث سالماً، لولا بعض الجراح التي اصيب بها ، وما كنا لنشير اليها الآن لو لم يكن لما جرى له ، صداه البعيد الغريب الشكل . والى القارىء ما حدث :

كان الشاعر صيدح قد خرج صباح ذات يوم من ادارة البريد يتأبط رزمة من التحارير والصحف التي ترده يومياً ، وكان عليه ان يجتاز شارع « علم » العريض ، ونظراً لازدحام السير فاجأته عربة الترام فصدمته وطرحته الى الارض فتحطم زجاج نظارتيه واصيب في وجهه بجراح لا تخشى نتيجتها . ولا يعلم حتى الآن الا الله كيف طارت برقية الى جمهورية فنزويلا حيث كان يقطن الشاعر تنقل خبر وفاته الى جموع انسبائه ومحبيه في تلك الجمهورية ، وما هي الاساعات على وجود الشاعر في بيته بعد الصدمة يسهر على جراحه الدكتور جورج قدوم ، حتى انهال عليه سيل من البرقيات من تلك الجمهورية يسأل مرسلوها حقيقة الخبر وبعض هذه البرقيات ينقل التعازي لعقيلة الشاعر ، وبديهي ان يسرع حضرته للرد على البرقيات ونفي الاشاعة مخبراً الاصدقاء والانسباء انه لا يزال في قيد الحياة ، وانه لم يحن الوقت لمراجعة قصيدته « سل المهملات » التي يقول فيها :

يا يوم يقرأ صحبي نعي صاحبهم
ايطرحون به في سل اهمال
لوائح وحسابات ستملأه
يخطها ورثاء الراحل الغالي .

ذكرنا هذا الحادث بما وقع للسياسي الكبير مستر ونستن شرشل ، اذ يذكر القراء ان شرشل مرض مرضاً عضالا في باريس اثناء الحرب يوم كان العالم باسره ينظر اليه كمنقذ الانسانية الوحيد من جحيم النازية ، ويوم كان شرشل يتحدى جيوش هتلر ودبابات همار ، وطائرات غورين ، واشتد عليه الداء حتى قيل انه سيقضي فأسرعت احدى الصحف البريطانية وكتبت سيرة حياة شرشل واعدت رثاء بليغاً بانتظار الدقيقة التي يذاع فيها خبر وفاته لتطلع على العالم قبل سواها بالرثاء ، وشاءت الاقدار ان يتعافى ونستن شرشل ويعود الى لندن ، فلم تكتمه ادارة الجريدة خبر ما كانت قد اعدته ، فطلب الرثاء واطلع عليه فاعجبه جداً ورجا المدير بان يحتفظ به لينشر عندما تدنو ساعته الاخيرة التي لا عودة بعدها الى الحياة .

هذا ما حدث لشاعرنا جورج صيدح ، والمثل العامي يقول « النعي في غير اوانه يطول العمر » .

اننا نعاتب ذلك الترامري ، فهو لم يعرف اي فتى صدم ، ولو عقل لوقفت دواليبه احتراماً لشاعر عربي فياض القريحة واسع الخيال كريم الخاطر وهو فوق ذلك مجموعة شيم كلها من الطراز الاول .

فاهتمام الجالية بالحادث كان بمحله ، لان صيدح كان دائماً للجالية . وهو الضيف الذي جاء وزوادته معه من الاول . وفوق زوادته شاعريته السمحاء ، التي وضعها بين كل طبقات الشعب في جميع المواقف . فما قام الناس بظاهرة وطنية او انسانية اوتهذيبية الا كان صيدح شاعرها السابق المعبر عن شعورها واحساسها المشير الى اهدافها ومراميها .

فنحن من جملة المهنئين في سلامة شاعرنا الغالي الذي يسلم البيان بسلامته .

وكل ما نرجوه ان نعرف « ابن الحلال » الذي نعى صيدح وهو لا يزال في قيد الحياة معافى ، ولطمأنينة القراء نعلن ان الشاعر صيدح قد شفي تماماً من جراحه ، ابعد الله عنه كل شر .

مـوت الـفوات

●

مر ، محمد ، بحائط مائل فاسرع فقيل له : يا رسول الله قد اسرعت المشي ، فقال اخاف موت الفوات « حديث »

من الياس خليل زخريا الى جورج صيدح

●

هذه قطعه سلخت من قلب عامر بالعاطفة السخية، ودماغ يسمو بالادب العالي، كتاب يوجهه الاديب الكبير الاستاذ الياس خليل زخريا ، الى الشاعر الكبير جورج صيدح لمناسبة الحادث الذي جرى له ، وهذه القطعة من الادب العالمي تليها قصيدة من عيون الشعر المجنح تذكرنا بمقال الاستاذ زخريا « على رصيف المرفأ » نشرته مجلة « الاديب » يوم غادر كاتبه ربوع لبنان ، تنبض فيه الحياة باقوى عناصرها ، كما تنبض في الكتاب التالي :

☆

خدش العابث المصلي بجديده مآقي عينك اليمنى
فخدش العابث المجلي بلسانه مآقي عمرك الحي
.. كأنك سراج يطفأ .. اداة تصدأ ..
.. كأنك طيب يقطع .. نغم يصدع ..
كأنك الرماد تشد به الريح في يوم عاصف

***

.. ويسعى نورك بين يديك ..
فتبسط جناحك في مفارق التأمل على شرفات النجوم
وتمد جفنك في قوافي الرؤيا على آفاق الزمن
لمَ صدمت بعينك القاسية مضلع القاطرة ، العابرة
فصدمت برأسك العالي رأس الموت الجاثم ؟ !

***

.. هاتها ..
تضرب على ضلعها اليمين
تضرب على ضلعهـا الشمال
ما احب قيثارتك الى نفسك
تعصر قلبـك في وترك
في كأسك
في حشاشات كأسك

ما احب دم قلبك في شفتي قلبي
الم تخرجني مني ، من رصيف الغربة مع ذاتك ، الى هذه الحروف في قناطر الحياة ؟ !

***

.. اما جرح خدك فأمسحه بسواد عيني
.. اما جرح نفسك فأمسحه ببياض الصباح
.. ببردة الصباح ..
حيث نحط كل يوم ، عند الشمس ، عند خد الشمس ، الاجنحة والاطياف ، في موئد البنفسج وغصون الآس

***

انا مغادرك ، غداً ، في الغد القريب
فأبرق الي قبل ان تموت ، لاني اخاف اذا ما مت مرة ثانية ان لا يسير في حداء القافلة نديم رائد
لمَ لا نبني قبورنا بيدنا قبل ان يدفننا الاموات ونحن احياء ؟ !
السنا من امة لما تزل تؤمن بالوأد
وأدت رجالها . . وأدت نساءها . .
. . وأدت ضمائرها . .
تحت قباب النبوءة وهياكل التأله
حول الصخرة ، في معارج الجلجة الدامية

***

خمش خدك في بونس ايرس خمشاً خمشاً
فؤادك في اللمح ، عربي ، في فنزويلا وأداً وأداً
الف جبل في الف فرسخ
اما قلبي فهاء غناءه من قلبك
اعزف باسمك الطيب على قيثارتي المتعبة .

***

انت من الناس . انسان لن يموت

بث الحنين

●

قد نعوني ولم امت	انا ما زلت في الحياة
لي خطو على العشي	ورف على الغداة
ازرع الورد في الدروب	ولا اتقي الجنـاة

يا نعيي ، عجلت ، مهّل ، ولطف بنا البكاة
سوف ابقي لك التراب وابقي لك الرفات

***

من يغني بعدي الندى
من يزجي بعدي الاناة .
من يسوق الطيوف في اصغريه، سوق الحداة
ويبث الحنين ، بعدي شعاعاً في الكائنات

***

لي عمر غض التمني ، وديع ، سمح الصفات
.. لي كؤوس هن الردى
وكؤوس هن النجاة
.. لي ليال هن الرؤى
واغان هن الصلاة

***

قلت للموت خذ ثيابي ولا تلمس الدواة
في جراحي ماء الوجود، وفي احرفي النواة

الياس خليل زخريا

يونس ابرش

يا نعاتي

هذه خاتمة المصائب ، او قل خاتمة القصة التي احدثت غصة لجيش عشاق الشعر العالي ومحبي ادب الاستاذ جورج صيدح ، على اثر ما اذيع عن تلك الصدمة التي لم تؤثر في صحته الغالية ، ولكنها تركت اثراً في الاثير يوم طير ناع تلك البرقية المنحوسة ، فكان لها وقعها المفجع وكان لها صداها الموجع عند الجميع ، عند اولئك الذين كانوا غير واقفين على حقيقة الخبر ، وعند اولئك الذين عرفوا حقيقته ، وبدجي ان ينبري شيطان الشعر والحديث عن الشاعر ، الى الميدان فيخرج من مواطن عبقر احابيله ويضرب في جو الخيال محلقاً فوق مدينة الاحياء الاموات ، وفوق مدينة الاموات الاحياء ، يفتش عن شاعر نعي وهو حي ، فوجده في المدينتين ، فعاد الى موطنه يبتسم وجمس في سمع الكون متسائلاً « وكيف يموت الشاعر .» وهذه قصيدة الشاعر صيدح ، صدى لما حدث له نختم بها هذا الفصل العجيب الغريب ، مكررين ادعيتنا بحفظ شاعرنا ودوام صحته

☆

الى الرفيق الذي قال لي امس :
« ازرع الورد في الدروب ولا تنتق الجناة »

☆

من مجيري من النعاة   رسل الموت في الحياة ؟
سابقوا ربهم على   أجل في الكتاب آت
موعد فيه يستوي   ذو لجاج بذي اناة .
يا لها من رواية   شؤمها حاق بالرواة
سيّروها وطيرو   ها شعاعاً الى الجهات
والردى سائر الى   حيث لا يشتهي الحداة
قد يريني رفاتهم ،   — لا اراني لهم رفات !
انا في الارض روضة   حسدتها الارض الموات
ان نعوها الى الربى   كذبت بالجنى الجناة
لطف ، الله بالشذا !   سلم الزهر والنبات !
قسماً بالذي قضى   بسقوطي ، وبالنجاة
لم يرعني في وقعه   نبأ روع العفاة .
ان مجدي رهينة   اقتضيها من الممات
كل شعر نظمته   امل تاه في فلاة
سارياً ، يحسب الردى   واحة تنقذ السراة
يا نعاتي ، مرادكم   عز ، مهلاً الى الغداة .
صلة بيننا الحياة   فهل اقطع الصلات ؟
لم اخيب سواكمو   طالباً ، يضمر الاذاة
غركم انني فتى   اطمع الضان بالرعاة
يا نعاتي ، اخذتمو   لي ثأراً من الحياة
فرثاني عواذلي   وبكوني مع البكاة
جرعة الموت فرجت   غصة الحق في اللهاة
فسرى العدل في الطغاة   وجرى اللين في القساة
يا نعاتي ، انصفتموني ،   وجرتم على اللدات
كم وجيع اذا شكا   رد قلبي صدى الشكاة
وشجي حننته   حنة الروح والصلاة
ووفاة دموعهم   شوقتني الى الوفاة
عظم الله اجرهم   ووقاهم كيد النعاة .

يونس ابرش

جورج صيدح

– بقية المنشور في صفحة ٨ –

ما دولة الحمدان لولا احمد[1] ؟ شغل الزمان بسيفها[2] مسلولا
بادت غطارفة الاغارق جملة وهميرس اهدى الزمان أخيلا[3]

***

يا شعر تبقى في الازاهر والضحى والليل محلول الفروع جايلا
في النهر والوادي ومخضل الربى والثلج قد مسك البهاء تلولا
في خلجة العذراء تيمها الهوى وحياء راهبة تموت بتولا
في دمعة الضعفاء نشت بعدما حفرت بأشباح الخدور مسيلا
في القلب لا افق الزمان يحده حباً ولا يقف الزمان حؤولا
في بسمة الطفل الرضيع ترى وفي مرح الشباب وكم فتنت كهولا
في الكون حين الكون تخفق روحه وتفض مكنون السنى لتقولا

بولس سلامه

اصبح بولس على نهار ...
لا يدركه ليل !

●

لو كنت حر الجناح لآثرت ان اهز بنفسي هذه الذرى الشم من لبنان بما تجاوب منه على ضفاف (الوادين) وارتعش به من اجوائهما لكأنه الربيع انبعث فيهما حنجرة وجناحاً ومنظراً وحسن مجتلى .

كنت – اذن – اعيد اليه . . الى لبنان . . شيئاً منه وقد توهج بعد ان تمعك في الشواطىء الحمر . وعانق السعفات الخضر، ولامس ما سقت تلك واطعمت هذه ملامسة نفس لنفس في صفاء كصفاء الوتر الاغن ، وهو يموج وينهمر في اعماق الفضاء . لا تدري أتغرد له ام تغرد به ؟

ذلك قلب (بولس) المترع بالمشاعر في اصفى وانقى وجداناتها النابضة بالحس والحسن ، اعيده في (مهرجان) من ارواح (الرافدين) التي تعلقت به روحاً خيّرا ، واقبلت عليه فكرة نيرة ، واصغت اليه لحناً (علوياً) وشربت منه رحيقاً طيباً ، فيعود آنذاك وقد اتسع وانداح وعظم ، فاذا (بولس) بعد رحلته القاصدة هذه اكبر من (بولس) قبلها، واذا عشه الاقليمي الضيق دنيا لا حد لها يسير فيها على عاتق ملحمته البكر – وهو في مكانه – مع (الضياء) ظل « علي » . وما كان الضياء ظلًا لغير علي ، بل ما كان لعلي غير الضياء ظلًا . . ومن اجل هذا فقد عاش (بولس) من (يوم الغدير) في لجة من الشعاع ، واصبح على نهار لا يدركه ليل .

***

بدأت هذه (اللمحة) بالاشارة الى اعتقال جناحي وحبسه على بغداد ، وانما يعنيني من هذا وانا اتحدث عن بولس او اليه ، ان اقول له : لقد وافتني (ملحمتك) او الدعوة الى القول فيها . وانا في ظرف يتيح لي ان افهمك واتقرى آثار موهبتك في جمالاتها الفريدة من هذا الاثر الفني البدع . فارى هذا الاثر البارع كيف نما وواتاك طيعاً من مراحله الصعاب التي تقلب فيها بين العقل والقلب، وبين الطبع والصنعة ، وبين (الموضوع) و (الذات)، حتى استوى لك في (اريحية) بعد مخض يعترف له الجبين . فجاءك سوياً في احسن تقويم .

وما كان سهلًا لو لم اكن متأملًا ان ارى على هذا الوجه الشفاف السهل كيف صنع منك الالم هذه (الملحمة) فاجاش (قلبك) بالمعاني الكبار، وانزلهن على انامك منغمات يفهقن بالنور، ويتضوعن بالعطر، فانحدرن ملهمات ملهمات يسعدن هذه الانسانية، المسكينة ، في محنها الكبريات ، ويختصصن بالمؤاساة بلادنا العربية التي رثت فيها (الانسانية) فبلغت المدى الابعد في الرثة .

وانا حين اشير الى الظرف الذي بلغتني فيه (الملحمة) و(الدعوة) وخففت فيه ايضاً للاستجابة الى هذا الداعي الكريم – انا حين اشير الى ذلك اريد ان انصرف عن تقويم (بولس) بالقيم اللفظية المصطلحة، واعفي نفسي من عرض ملحمته على مقاييس النقد والبيان ، احسبني في مباراة خطابية ، ولا في امتحان يأخذني بتطبيق الخصائص اللغوية والفنية على اثر يدين بامتيازه وتبريزه للطبع الاصيل قبل ان يدين للمقاييس الموضوعة ، على انه لم يفارقها في حدود التجديد والانطلاق اللذين تهضمها الاتجاهات الحديثة في الفن واللغة .

واشد على هذه النقطة لئلا تظن انني ابخس الملحمة حظها من القيم اللغوية وما يتصل من هذه القيم بالفن الادبي الحي فانص على انها : غنية بالاساليب البيانية الدقيقة العميقة ، موفورة النصيب من قوة التعبير وسلامة الادوات ، زاخرة بالصور الذهنية واللفتات العبقرية النادرة، يضاف الى هذا كله ، او يسبق هذا كله – وهو آية التفوق – اعتداد الشاعر بالواقع التاريخي في حين انه يؤلف (ملحمة). وهو يظهركم على اعتداده هذا بافتنان عظيم في مواجهة

(١) المتنبي . (٢) سيف الدولة .
(٣) أخيل بطل الاغريق في الياذة هوميروس.

(الشخصيتين) اللتين ادار عليها ملحمته .

هو يفتن بالجد في اعلان حقيقة (علي)واكاد اقول : انه يبلغ الحماسة في هذا الجد لو ان الحماسة تظل حماسة حين تتحدث بجدعن حقائق (علي) !

وفي هذا من ضروب الفن والابداع والتجويد ما يرفع الشاعر الى (الذروة) ويحله في (الغرفة) بين الشعراء الخالدين ، بل فيه فوق براعة التصوير الفني المتسق له اتم الاتساق فضل الايمان بوجدانه الذي ينقلك بخواجله ولفتات نفسه الجزالة من يومك الحاضر الى مشاهده البعيدة في التاريخ ، او ينقل اليك التاريخ بمشاهده البعيدة فيحيله الى شيء حي من حياتك الحاضرة ، ولا سيما فيما يدور في الملحمة على فكرة (العدل الاجتماعي) و (المساواة) في جانب ، وعلى (سوء التوزيع) و (الاقطاع) في جانب آخر .

وما حاجة هذا الشعر السمح المندفع في هذا الينبوع الكريم الى ان نكدر صفوه الرائق بالاقيسة والعلامات والارقام .؟!

نعم انا - باحثاً - اشكو نقصاً في حديثي هذا يتممه سوق بعض الامثلة من الملحمة لما احدثكم به ، ولكني قلت لكم انني انصرفت عن النظر فيها نحو الدراسة ، ولولا خشية ان اظلم الملحمة بذكر بعضها وترك بعض لسقت لكم نماذج قليلة تلائم القول في حفل ، ولكني اكاد اظن اننا نظلم الملحمة ان قصدنا الى الاختيار .. الاختيار القليل .

قد ينتظر مني - ونحن في هذا السبيل - ان اوازن بين هذه الملحمة (عيد الغدير) وبين ملحمة (هومير) وغيره من شعراء الامم الاخرى في ملاحمها فابسط القول في عناصر هذا الفن من الفنون الشعرية واغراضه ثم ابني على ذلك مكان (شاعرنا) بين شعراء الملاحم ، ومكان اثره هذا بين الآثار الفنية في هذا الموضوع .

ولكني وقد اعرضت عن تفاصيل دراسة هذا الاثر اكتفاء بالالماح الى قيمته على الاجمال رعاية لحق الحفل ، فاولى بي ان اعرض عن الخوض في هذا الموضوع الطويل ، واذا كانت الملاحم الاخرى تركب متون الاساطير الى بناء مجد قومي ، او انشاء روح قوية ، او ضرب مثل من امثال الخير الانساني لتثير في الامة كوامن نشاط خبا ، ان تنهض همة عزم كبا - كما يقول المسجعون - فان ذلك قد تأتى لشاعرنا على اتم صوره واتقن اغراضه ، ثم تأتى له من صميم الحقائق التي يغني صدقها ، وصدقه فيها ، عن كذب الاساطير واعتسافها في متاهات الخيالات الآبدة .

اضف الى هذا انني اقدر ان غيري ممن دعي الى هذه الحلبة قد يعرض لهذا الجانب من جوانب القول لذلك اتركه وامضي الى امر لا اقدر ان احداً سيقول فيه شيئاً .

انا اجد اكبر مصادر الخصب والتفوق في هذه الملحمة انما هو تفتح (بولس) لفهم (علي) هذا التفتح القوي المستوعب الدقيق .

ولكي احد لكم هذا التفتح العجيب واعطيه النصفة من نفسي اعترف انه زادني انا فهماً لعلي ، والتفت للفرق بيني وبين بولس . فانا حين افهمه كما يفهمه هو او اكثر مما يفهمه لا اساويه لانني مشدود الى وراثات ومحيط وبيئة تلازمني فلا استطيع ان انفك عنها مهما تحررت ، ومهما قدر لي النجاح في محاربة نفسي وانا اتحرر منها - كما فعلت حين كونت رأيي بعد الدراسة - اما بولس فانه في حل من هذه الاقطة ، ولعله ان يكون مشدوداً بغيرها . فاذا انتهى الى نهايتي في رأيي ، كان اسلم مني وصولا الى الحقيقة من وجه . ثم كان - من وجه آخر - دليلا جديداً لي على صحة هذا الرأي لا اجد انصع منه ولا اصدق من حجة حياده .

اقول هذا واشكو الى بولس والیكم هذا الشر الذي ينبع من نفوس الناس فيفرق بينهم - وهم ابناء اب وام - ويخالف بين آرائهم فيضيف هذا الى النصرانية وذلك الى الاسلام وهكذا ، ثم يضع هؤلاء في طرقهم وهؤلاء في طرائقهم على مفارق تسيل فروعها بشتى الالوان ، ذلك ليكثر الخلاف ، وينمي به هذا الشقاء الذي يرمي به بعض بوجوه بعض قاراً وقطراناً ، ويزرع به بعض درب بعض شوكاً وقتاداً .

ثم اقوله واحمد لبولس انه انتهى في ملحمته الى ان (علياً) عليه السلام في هذا الطوفان المتدافع من الاديان (سفينة) يبيت المعتصمون بها في أمن من الغرق فلا تبلغهم امواج الخلاف مهما علت او ارتفع بمدها النوء الجبار .

وبهذا كان علي ملتقى للاحرار الخيرين يتوافدون اليه من كل زمان ومكان ويعولون عليه في اصح آرائهم وانفع مبادئهم ومعارفهم وان مشوا الى الاقتداء به على النار .

هذه الخاصة من خواص الملحمة العربية الطالعة اساها عندي وادلها على سعة افق بولس وسلامة عبقريته .

وبعد : فعسى ان تحدث هذه الملحمة الغراء فينا وعياً عربياً سامياً تعرك اجفانه بمنهج علي في يده ولسانه وصدره وجنانه فتنبعث به من جديد امة تهدم (الوثنية) وتنشئ الحرية ، وترفع راية الحق والعدل والخير والجمال .

بغداد — صدر الدين شرف الدين



٣٠ نوار ١٩٤٩ – حلت الاحزاب السياسية في سوريا .

– اعلن فيشنسكي في موئتمر وزراء الخارجية ان روسيا ترفض توحيد المانيا .

١ حزيران – اعلن الامير ادريس السنوسي استقلال برقة .

– قضت هيئة التحكيم باعادة الضابط والجنود السوريين الى سوريا وبتبادل الاسف حول هذا الحادث .

– ترك وزراء الخارجية الاربعة درس القضية الالمانية وبدأوا بدرس مشكلة برلين .

٢ – عمت ليبيا موجة من الاستياء على اثر اعلان السنوسي برقة دولة مستقلة عن شائر ليبيا .

٤ – موئتمران لا يزالان على حالهما من البطء وعدم استمرار الاعمال موئتمر لوزان وموئتمر وزراء الخارجية الاربعة .

– اعدم جنرال صيني من القوات الوطنية لمحاولته الالتحاق بالجيش الشيوعي .

٦ – وافق البرلمان العراقي على ارسال مزاحم الباجه جي الى القاهرة للعمل على تنقية الجو بين العراق ومصر .

٧ – احتل اليهود قطاعاً في منطقة القدس الجنوبية وقد ابلغت شرقي الاردن الامر الى مجلس الامن .

٩ – رفض فيشنسكي المقترح الاميركي لرفع الحصار الكامل عن برلين .

– طلب الجنرال رايلي كبير المراقبين الى القوات اليهودية الانسحاب من منطقة الحياد جنوبي القدس .

– ابلغت بريطانيا شرقي الاردن باعارضها الحظر عن ارسال الاسلحة اليها .

١٠ – رفضت اسرائيل طلب هيئة الامم السماح للاجئين العرب بالعودة الى فلسطين .

– قدم المسيو فيشنسكي في مجلس وزراء الخارجية اقتراحاً لعقد معاهدة صلح مع المانيا .

١١ – وصل مزاحم الباجه جي الى القاهرة مرسلاً من الحكومة العراقية للعمل على تنقية الجو بين العراق ومصر .

– رفض الوزراء الغربيون اقتراح فيشنسكي بعقد معاهدة صلح مع المانيا .

١٣ – احتلت القوات البلجيكية مصانع الزيت في اسن بالروهر .

١٤ – عقد وزراء الخارجية الاربعة الكبار جلسة سرية، انسحب في اثنائها المسيو فيشنسكي لسبب لم يعرف .

– وصل الوصي على عرش العراق الى طهران بناء على دعوة من الشاه .

١٥ – عاد الجو الى التوتر بين العراق وسوريا بعد حشد ٥ آلاف جندي عراقي على الحدود السورية .

– عاد مزاحم الباجه جي من القاهرة وقد ابدى تفاوئله بتصفية الجو بين مصر والعراق .

١٧ – نفت حكومة بغداد انباء الحشد العراقي على حدود سوريا .

– وافقت لجنة الشوئون الخارجية في في مجلس النواب الايطالي على الحلف الاطلنطي .

١٨ – تنظر مصر والمملكة السعودية الى الحشد العراقي على الحدود السورية بحذر وقلق .

٢٠ – ناشدت لجنة التوفيق الدولية في لوزان العرب واليهود للوصول الى تفاهم قبل ارفضاض الموئتمر .

– انهى وزراء الخارجية الاربعة اجتماعاتهم بعد ان وقعوا عل اتفاق جزئي بقضيه ألمانيا ، واعداد معاهدة مع النمسا تقضي باعادة حدودها الى ما قبل عام ١٩٣٨ .

٢١ – قدمت الوفود العربية الى لجنة التوفيق بلوزان المشروع اللبناني لتدويل القدس .

– طلبت الولايات المتحدة من الحكومة البريطانية وضع حد لمناورات العراق تجاه سوريا .

٢٢ – يرى المراقبون السياسيون زوال خطر الحرب بين الشرق والغرب نتيجة لموئتمر وزراء الخارجية .

– عاد الى بغداد الامير عبد الاله قادماً من الزيارة الرسمية التي قام بها الى ايران .

٢٤ – طلبت لجنة التوفيق من العرب واليهود تأجيل موئتمر لوزان اسبوعين .

– هاجم حزب المحافظين حكومة العمال واتهمها بانها اساءت لاسم بريطانيا في العالم .

– بدأت القوات الهولندية بالجلاء عن جكجا كارتا عاصمة اندونيسيا .

٢٥ – فاز الزعيم حسني الزعيم برئاسة الجمهورية السورية باستفتاء شعبي عام مباشر .

– توفي السيد سوفوليس رئيس الوزارة اليونانية وكلف السيد تسلداريس بتأليف الوزارة الجديدة .

– طلب الرئيس ترومن الى الكونغرس ان يرصد ٤٥ مليون دولار لمساعدة اقتصاديات البلدان المتأخرة في افريقيا وآسيا واميركا اللاتينية .

٢٦ – الف الدكتور محسن البرازي الوزارة السورية .

– اصبح حسني الزعيم بوصفه رئيساً للجمهورية قائداً اعلى للجيش السوري برتبة فيلد مارشال، (مشير) .

٢٧ – غادر شكري القوتلي رئيس الجمهورية السابق دمشق الى سويسرا تصحبه عائلته .

٢٨ – اعلن النحاس باشا ان الوفد المصري سيشترك في الانتخابات القادمة .

– اعلن الحزب الاشتراكي البلجيكي بعد انتصاره في الانتخابات بانه سيحاول اعادة الملك ليوبولد الى العرش .

٢٩ – قدمت حكومة شرقي الاردن احتجاجاً الى مجلس الامن على اعمال اليهود في مثلث طولكرم .

– جلت عن كوريا آخر وحدات الاحتلال الاميركية .

– كلف فان زيلاند بتأليف الوزارة البلجيكية .

– ادلى نوري السعيد باشا في مجلس الاعيان ببيان قال فيه : ان كل ما يتمناه العراق هو ان تتقارب الاقطار العربية .

٣٠ – تحتاج بريطانيا ازمة مالية خطرة وقد استدعت الحكومة البريطانية وزراء مالية دول الكومنولث في اواسط تموز لدرس مسألة تدني احتياطي الذهب ومسألة نقصان الدولارات الاميركية .

– دعا فرنكلين روزفلت ابن الرئيس السابق الاميركيين الى مد يد المساعدة لاسرائيل بالدولارات كي يتسنى لها انشاء دولة في الشرق .

– اقترح المستر تريغفي لي اعطاء الجنسية الدولي لمليوني شخص لا جنسية لهم .